بحوث ومقالات

إحياء التراث

للدكتور ابراهيم مدكور

لا شك فى أن حصر المخطوطات العربية وجمعها هو أول خطوة فى سبيل إحيائها. وقد أشرنا من قبل إلى أن الغرب قدر هذه المخطوطات قدرها منذ زمن بعيد ، وتابع البحث عنها إلى اليوم ، وبذل ما بذل فى سبيل اقتنائها . وتعاون العرب والمسلمون ، تحت نير الاستعمار التركى والأوربى ، فى حمايتها ومحاربة تهريبها والاتجار بها ، ولم يتنبهوا إلى قيمتها التاريخية والثقافية إلا فى أخريات القرن الماضى . وأخذوا يجمعونها ويودعونها أحرازاً أمينة ، ويبحثون عما فقد منها ، فبعثت بعوث للبحث عن المخطوطات النادرة ، وبذلت فى ذلك جهود متفاوتة فى بعض الأقطار العربية ، وكان لمصر منها نصيب واضح . وأخشى أن تكون هذه الجهود قد توقفت بعد أن اضطلعت جامعة الدول العربية بأمر هذا البحث ، وما أجدر الجامعات والمجامع اللغوية والعلمية والمكتبات العربية الكبرى أن تعنى به ، وأن تسهم فيه بنصيب .

وقد أنشأت الجامعة العربية فعلا قسما لجمع ما يمكن جمعه من المخطوطات القيمة ، وبدأ هذا القسم عمله عام ١٩٤٧ ، واستمر ينمو على الزمن ، وأصبح « معهداً للمخطوطات العربية » ، مكتبته ومطبوعاته وصحيفته . وكانت له مجلة توقفت زمناً ونأمل أن تستعيد نشاطها . واستطاع فى الثلاثين سنة الماضية أن يبعث عدة بعوث إلى سوريا ، وتركيا ، ولبنان ، والمملكة العربية السعودية ، وتونس والمغرب فى العالم العربى ، أو إلى إيران ، والهند ، واليابان ، وإيطاليا فى البلاد الأخرى. ولابد له أن يتابع هذه البعوث ، وعلى كل بعثة أن تعد لمهمتها قبل البدء فيها ، وأن ترسم خطوطها ومعالمها . وينبغى أن يضع المعهد فى حسابه مخطوطات المكتبات والمتاحف الأوربية الكبرى ، وفى وسعه أن يحصل على فهارسها ، وهى فى الجملة دقيقة ومستوعبة ، وعن طريق التبادل أو المراسلة يمكن الإفادة منها . وقد آن الأوان لأن نؤمن بأن العلم للجميع ، وأن طلبه حق ، وأن الاستجابة له . واجبة ، وعلينا أن نُرَوِّض على ذلك القائمين على أمر مراجعه ومصادره . وكم شكا الناس من بطئنا أو إعراضنا عن إجابة طلب باحث أو دارس لصورة نص أو مرجع من

المراجع . وقد أحرز معهد المخطوطات فى الثلاثين سنة الماضية قدراً كبيراً من صور المخطوطات العربية ، وزادت حصيلته زيادة ملحوظة ، وتكاد تبلغ الثلاثين ألف مخطوط ولا يتردد فى أن يمكن الباحثين من الاطلاع عليها ، أو الحصول على نسخ منها ، ويتوارد عليه الزائرون من الشرق والغرب بانتظام . وقد بدأ منذ زمن فى ترتيب مخطوطاته ، وفهرستها ، وأخرج بالفعل قدراً من فهارسه ، والباحثون والدارسون فى حاجة ماسة إليها . وإنا لنرجو لهذا المعهد أن تؤيد رسالته ، ويعزز نشاطه ، وأن يبقى منارة يهتدى بها فى ميدان جمع المخطوطات العربية وتحقيقها ونشرها .

والنشر الكامل الدقيق هو الإحياء الحقيقى للتراث العربى ، وقد يسرت المطبعة الحديثة أمره ، ويزداد فن الطبع دقة ووضوحاً عاماً بعد عام . وقد عرفت المطبعة فى أوربا منذ القرن السادس عشر ، ولم تعرف فى العالم العربى إلا فى القرن الماضى . فظهرت فى مصر لأول مرة عام ١٨٠١ ، وفى لبنان عام ١٨٢١ ، وفى تونس عام ١٨٦٠ . وليس بغريب أن تنشر فى أوربا مؤلفات عربية قبل أن تظهر فى العالم العربى بثلاثة قرون ، ولا نزال مدينين حتى اليوم لأوربا بالطبعة العربية لكتاب (القانون) لابن سينا مثلا ، وما أجدرنا أن نخرجه إخراجاً علمياً محققاً . ولم يكن للنشر فى الماضى منهج واضح ولا خطة مرسومة ، بل كان يكتفى فيه بالأخذ عن مخطوطات ما دون بحث أو تمحيص ، فيجىء المطبوع مجهول الأصل مليئاً بالأخطاء ، وقد يكون بين مخطوطاته ما هو أدق منه لفظاً وأوضح عبارة . وأصبح للنشر العلمى اليوم شرائط وقيود أخذ بها فى نشر التراث اليونانى والرومانى ، وطبقها المستشرقون ما وسعهم على ما نشروا من نصوص عربية .

ومما يؤسف له أن هذه الشروط والقيود لم تراع بدقة فيما نشر فى العالم العربى ، وبخاصة فى أواخر القرن الماضى وأوائل هذا القرن ، واكتفى بطبع بعض المخطوطات دون بحث عن أصولها أو تحقيق لنصوصها . وأعيد طبع كتب كما هى دون تنقيح أو تهذيب ، وأخذ عن بعض ما نشر فى الخارج فى غير دقة ولا عناية . وربما قام بالنشر من ليس أهلاً له ولا متخصصاً فى موضوعه . وأضر شىء ذلك النشر التجارى الذى يهدف إلى المال وحده ، فلا يتقيد بمنهج علمى ، ولا يبالى بتحقيق . ومن حسن الحظ أن الدرس الجامعى أخذ منذ ثلث قرن أو يزيد فى تقدير النشر العلمى حق قدره ، وفتح بابه لرسائل الماجستير والدكتوراه ، وضرب فيه مثلا يحتذى ، وفرض منهجه على شباب الجامعيين من الدارسين والمحققين ، وفى بعض الرسائل الجامعية تحقيق لا يقل عن أمثاله فى الجامعات الغربيـــة .

والمخطوط فى الواقع وثيقة تخضع لما تخضع له الوثائق التاريخية الأخرى من بحث وتمحيص ، ونقد وملاحظة . فيحصى الموجود من نسخه ، ويبين عصرها ، ويوازن بينها . ولا شك فى أن أولاها ما كتب بخط

المؤلف ، أو ما أملاه أو قرأه أو قرئ عليه . ثم يليه ما أخذ عن نسخة بخطه ، أو كتب فى عصره . ولا يصح التعويل على نسخة واحدة إن كان للنص أكثر منها ، وفى تعدد النسخ ما يسمح بالمقارنة واستكمال الناقص : وللمحقق أن يتخذ نسخة أساساً ، ثم يضيف إليها فى الهامش الروايات الأخرى . وله أن يكون من مجموع النسخ نصاً مختاراً ، إذا لم تتوفر له نسخة بخط المؤلف . وهذا مسلك صعب . يتطلب فقها باللغة ، وتمكناً من موضوع المخطوط ، وإلفا لأسلوب المؤلف . وعلى المحقق أن يكمل الخروم إن استطاع ، وأن يرجع إلى المصادر التى يشير إليها النص للتثبت والموازنة . ورغبة فى الضبط والتوضيح يقسم النص ويرقم ، وينقط ويشكل ، وتستخدم فيه علامات الفصل والوصل . والتعجب والاستفهام ، وتمييز زيادات المحقق وإضافاته بأقواس معقوفة .

ومن شرائط النشر العلمى التحقق من صحة المخطوط ونسبته إلى صاحبه ، وهناك كتب منحولة جمعت ولفقت من مصادر مختلفة ، وأخرى عزيت إلى غير أصحابها . وسبيل الكشف عنها ضرب من النقد الداخلى والخارجى فيتحرى الموضوع ليتعرف مدى التقائه بآراء من يعزى إليه ، ويرجع إلى المصادر التى تتصل به ، وقد كشف بهذا عن أخطاء كثيرة توالت عليها أجيال متعاقبة . ولا بأس بأن يقدم المحقق لما ينشره ، فيعرف به ، ويلخص ما جاء فيه وله أن يعاق عليه ، ويشرح غامضه ، على ألا تطغى الحواشى والتعليقات على النص نفسه . ويحسن أن يختم تحقيقه بفهرس لأعلام الأشخاص والأماكن ، وآخر للكتب التى ورد ذكرها فيه ، ومعجم للمصطلحات إن دعا الأمـــر .

ابراهيم مدكور
رئيس المجمع

جغرافية الأندلس
والمصطلحات الجغرافية الأندلسية

للأستاذ محمد عبد الله عنان

كان للعرب مصطلحاتهم الجغرافية الخاصة فى سائر البلاد التى فتحوها ، وذلك عن طريق الاشتقاق والتعريب والتنسيق ، فسموا الأقطار والمدن والأماكن والأنهار والجبال وغيرها بأسمائها العربية ، وتركت لنا الجغرافية العربية فى ذلك تراثاً عظيماً لا يقل فى ضبطه ودقته عن تراث أية لغة أو حضارة أخرى .

وقد حظيت جغرافية الأندلس من هذا التراث بأوفر قسط من الدقة ، وحسن التعريب ، فجاءت فى مجموعها صورة صادقة لجغرافية شبه الجزيرة الإسبانية ، لم ينسخها ما توالى عليها من التغييرات التاريخية والسياسية ، بل لبثت بالعكس إلى يومنا أساساً للاشتقاق والمصطلحات الجغرافية الحديثة :

وأول ما يجب التنويه به فى هذا الصدد ، هو أن الجغرافية العربية تطلق كلمة الأندلس على شبه الجزيرة الإسبانية كلها ، وقد كان الفتح الإسلامى ، يشمل فى بدايته سائر أرجاء شبه الجزيرة ، ما عدا ركنها الشمالى الغربى الذى اعتصم به القوط ، وهى المنطقة التى تشمل اليوم ولاية جليقية والجزء الغربى من ولاية كنتبريه ، ثم أطلقت الكلمة بعد ذلك على اسبانيا المسامة ، أو الجزء الذى تحتله الدولة الإسلامية من شبه الجزيرة ، متدرجة فى ذلك وفق العصور . ولم يك ثمة يومئذ فارق بين اسبانيا والبرتغال ، ولم يكن البرتغال وجود أو كيان مستقل ، بل كانت ولاية الغرب الأندلسية وهى الذى يشملها اليوم القسم الجنوبى من البرتغال ، ولاية من ولايات اسبانيا المسلمة : ولما تضاءلت رقعة الوطن الأندلسى على كر الزمن ، وتوالى سقوط القواعد الأندلسية القديمة فى يد اسبانيا النصرانية ، أضحت كلمة الأندلس تطلق على ولايات الأندلس الواقعة جنوبى شبه الجزيرة ، بين نهر الوادى الكبير والبحر ، وهو نفس مدلول الكلمة فى الجغرافية الحديثة . وما زالت الأندلس Andalucia تحتل فى تقسيم اسبانيا الإدارى نفس هذه المنطقة . وأما أصل الكلمة فقد ذكر لنا البكرى أن الأندلس قد اشتقت من أسماء « الأندليش » الذين سكنوها فى قديم الزمان :

والأندليش هم (« الوندال » : Vandals : ويوافقه ابن خلدون على ذلك حيث يقول إن الأندلس ، اشتقت من كلمة « فندلس » أى الوندال . والتعليل الحديث للكلمة لا يخرج عن ذلك ، حيث يرجعها إلى كلمة Vandalucia أو بلد الوندال . كذلك يقدم لنا البكرى تفسيراً لكلمة « إيبريا » Iberia التى تطلق على شبه الجزيرة الإسبانية ، فيقول لنا أن اسمها القديم«إبارية» من وادى إبره ، ثم سميت بعد ذلك باطقة Bactica من وادى بيطى وهو نهر قرطبة ، وسميت كذلك إشبانية بالاشتقاق من Hespéris أو إشبرش ، وهو الكوكب المعروف بالأحمر إلى غير ذلك من التعليلات .

ويجب أن نذكر إلى جانب ذلك أن الأندلس الكبرى ، كانت منذ أوائل القرن الثالث الهجرى ، تضم الجزائر الشرقية ، أو جزائر البليار ، وكانت هذه الجزائر التى فطن المسلمون إلى أهميتها البحرية ، وافتتحوها فى سنة ٨٤٨م . أيام عبد الرحمن بن الحكم ، تعتبر ولاية قائمة بنفسها ، واستمرت على هذا الوضع أيام انهيار الأندلس الكبرى فى عهد الطوائف ، وبسط مجاهد العامرى صاحب دانية سلطانه عليها ، واتخذها قاعدة لغاراته البحرية المشهورة على قورسقة وسردانية ، واستمرت كذلك أيام ولده على إقبال الدولة ، ثم استقلت بنفسها أيام المرابطين والموحدين ، وإن كانت تستظل فى بعض بعض الأحيان باسم السلطة المركزية فى شبه الجزيرة ، إلى أن افتتحها خايمى الثانى ملك أراجون سنة ١٢٢٩ م .

وقد حظيت الأندلس، أو اسبانيا المسلمة، من الفاتحين المسلمين بتنظيم جغرافى شامل ، وكان هذا التنظيم يقوم فى جوهره على التنظيم الرومانى القديم ، ثم التنظيم القوطى الذى قام على أسسه ، وهو يقوم على تقسيم شبه الجزيرة إلى أربع ولايات كبيرة ، تشمل الأولى إقليم الأندلس وهو الذى يمتد كما تقدم بين البحر الأبيض ونهر الوادى الكبير ، ومما يلى هذا النهر حتى نهر وادى يانه ، وأشهر مدنها قرطبة ، وإشبيلية ، ومالقة ، وإستجة ، وغرناطة ، وجيان . وتشمل الولاية الثانية جميع اسبانيا الوسطى من البحر شرقاً إلى حدود البرتغال ، أو لوزيتانيا غرباً، ثم إلى النهر دويره شمالا ، وأشهر قواعدها طليطلة ، وشقوبية وبلنسية ودانية ، ومرسية ، ولقنت وقرطاجنة ، ولورقة وبسطة . وتشمل الولاية الثالثة ، جليقية ولوزيتانيا أو البرتغال القديمة ، وأشهر قواعدها ماردة وبطليوس ويابرة وأشبونة وقلمرية وباجة واسترقة ، وشلمنقة ولك وغيرها . وتمتد الولاية الرابعة من نهر دويره شمالا إلى جبال البرنيه على ضفتى نهر إبره ، وغرباً إلى جليقية ، وأشهر قواعدها سرقسطة وطرطوشة وطركونة وبرشلونة وأرقلة وبلد الوليد وبربشتر ووشقة وغيرها. ولما اتسع نطاق الفتوحات الإسلامية شمالا ، أنشئت ولاية خامسة فيما وراء جبال البرنية ، شاملة لولاية سبتمانيا القديمة ، وأشهر مدنها أربونة ونيمة وقرشونة وبزييه وأجده ومجلونة (أو مقلون) ولوديف،

ثم قسمت الأندلس بعد ذلك ، حينما استقرت رقعتها جنوبى نهر دويره ، إلى ولايات أوكور أقل حجماً ، بلغت فى بعض الأحيان خمس عشرة كورة أو أكثر .

ويجب أن ننتهز هذه المناسبة ، لنصحح خطأ شائعاً فيما يتعلق بتسمية جبال « البرنيه » فكثير من الكتاب والمؤرخين المحدثين ، يسمونها بجبال البرانس ، وهى تسمية خاطئة مؤسفة . ذلك أن جبال البرنيه تسمى فى الجغرافية الأندلسية بجبال البرت أو البرتات مشتقة من كلمة بورتا Porta اللاتينية أو Puerta الإسبانية ، وقد سميت كذلك نسبة إلى الأبواب أو الممرات الرومانية القديمة التى تخترقها ، والتى كانت منذ العصر القديم ممرات للغزاة ، سواء من الشمال إلى الجنوب أو من الجنوب إلى الشمال .

وهذه الأبواب ، من الشرق الى الغرب ، أربعة ، الأول برت جاقة ، والثانى برت أشبره ، والثالث برت شيزروا ، والرابع برت بيونة :

وباب شيزروا هذا الذى يذكره الإدريسى غير مرة ، هو أشهر هذه الأبواب ، وقد سماه الإدريسى كذلك ، تعريباً لاسمه الرومانى القديم Portus ciserae ، وهو المعروف أيضاً بالإسبانية Roncesvalles وقد اشتهر فى التاريخ الأندلسى بنوع خاص إذ قد وقعت فى الوادى المطل عليه ، والذى يحمل نفس الاسم ، على مقربة من مدينة بنبلونة عاصمة نبرّه ، موقعة باب شيزروا الشهيرة ، التى هزم فيها شارلمان عاهل الفرنج على يد القوات العربية والنابارية المتحالفة ، وذلك فى شهر ذى القعدة سنة ١٦١ هـ ، الموافق لشهر أغسطس سنة ٧٧٨ م ، أيام عبد الرحمن الداخل . وكان شارلمان قد حاول أن يغزو الأندلس ، ووصل فى زحفه إلى مدينة سرقسطة ، ولكنه ارتد حينما امتنعت عليه ؛ فهاجمت القوات العربيةُ والنابارية مؤخرة جيشه ، ومزقتها بشدة ، ونظمت فيما بعد عن تلك الموقعة أنشودة رولان الشهيرة : Chanson de Roland

وإذاً فجبال البرنيه ، فى الجغرافية الأندلسية هى جبال البرت أو البرتات. على أن الجغرافية الأندلسية ، وكذلك التاريخ الأندلسى يحدثنا أيضاً عن جبال « البرانس » ولكن هذه التسمية تطلق على سلسلة أخرى من الجبال تقع فى منطقة أخرى من شبه الجزيرة الإسبانية ، ولا تمت إلى جبال البرنيه الشمالية بأية صلة . وتقع « جبال البرانس » جنوبى نهر وادى يانه ، وشرقى مدينة ماردة ، جنوبى جبال طليطلة وهى سلسلة الجبال التي تعرف فى الجغرافية الحديثة بجبال المعدن Sierra de Almaden لوقوعها على مقربة من مدينة المعدن : Almaden . وأما تسميتها فى الجغرافية الأندلسية بجبال البرانس ، فليس تحريفاً لأية تسمية إفرنجية ، وإنما هى نسبة فقط لقبيلة البرانس البربرية ، التى كانت هذه المنطقة منزل كثير من بطونها . ويحدثنا

ابن خلدون عن قبيلة البرانس هذه ، ويقول لنا إنهم سموا كذلك لانتمائهم إلى « أوريغ ابن برنس » وقد ظهروا فى بداية أمرهم فى نواحى برقة وطرابلس ، ثم نزحوا إلى المغرب الأوسط فى أوائل القرن الثانى من الهجرة . وقد اشترك كثير من زعماء البرانس مع طارق بن زياد فى الفتح ، وكان منهم بنو ذو النون أمراء طليطلة أيام الطوائف ، وهم ينتمون إلى هوارة إحدى بطون البرانس. وكان منهم أيضاً بنو رزين أصحاب السهلة ، وأمراء شنتمريه الشرق . واشترك البرانس أيضاً فى غزو صقلية أيام الأغالبة فى أوائل القرن التاسع الميلادى ، وتشغل أخبارهم حيزاً كبيراً فى تاريخ المغرب .

وكانت الأندلس فى بداية أمرها ، وحينما كانت تمتد رقعتها حتى جنوبى فرنسا ، تمتاز باحتوائها على مناطق الثغور . والثغر فى الجغرافية العربية ، وفقاً لياقوت ، هو كل موضع قريب من أرض العدو ، كأنه مأخوذ من الثغرة ، وهى الفرجة فى الحائط ، وكان رباط الثغر أيام افتتاح الأندلس يشمل أربونة وما حولها ، باعتبارها أقصى ولاية فى اسبانيا المسلمة تجاور أراضى الفرنج ، فلما سقطت أربونة وباقى مدن سبتمانيا فى أيدى الفرنج ، ارتد ثغر الأندلس إلى ما وراء جبال البرنيه ، وأصبح هذا الثغر يطلق على سرقسطة ، وما جاورها حتى برشلونة شرقاً ، وهذا فى الجغرافية الأندلسية هو « الثغر الأعلى » وقد كان يشمل عدا سرقسطة ، لاردة ، وتطيلة ، ووشقة ، وطرطوشة ، وطركونة ، وغيرها ، وهو ما يقابل فى الجغرافية الحديثة ولاية أراجون الإسبانية . وأما « الثغر الأدنى » فكان يشمل طليطلة وأعمالها وذلك لمجاورتها لمملكة ليون وجليقية النصرانية :

هذا وقد كان للأندلس عدة عواصم متعاقبة وفقاً لمختلف العصور والدول . ولما افتتح العرب الأندلس ، كانت طليطلة عاصمة مملكة القوط . ولكن العرب لم يتخذوها عند الفتح عاصمة للقطر الجديد ، وذلك بالرغم مما كانت عليه من الضخامة والحضارة : ولما ولى عبد العزيز بن موسى حكم الأندلس عقب انصراف أبيه موسى بن نصير إلى المشرق ، اتخذ مدينة إشبيلية عاصمة للأندلس وقتل بها سنة ٩٧ هـ . ولما ولى مكانه أيوب ابن حبيب اللخمى ، نقل مركز الحكم من إشبيلية إلى قرطبة ، وذلك باتفاق الجماعة ، وروعى فى هذا النقل موقع قرطبة المتوسط ، واستمرت قرطبة من بعد ذلك مركز الولاة حتى جاء عبد الرحمن الداخل ، واستولى على الأندلس ، فلم يحدث تغييراً فى وضع العاصمة الأندلسية ، بل بالعكس تأثلت فى عهده رياسة قرطبة ، وبنى بها القصر والجامع ، وغدت حاضرة الدولة الأموية الجديدة :

وهكذا غدت قرطبة منذ عصر الولاة عاصمة للأندلس ، وتوطدت صفتها على كر الزمن حتى جاء عبدالرحمن الناصر ، فأعلن

اثشاحه بثوب الخلافة ، وغدت قرطبة دار الخلافة الأموية ، ولم تفقد هذه الصفة الجليلة بقيام مدينة الزهراء الملوكية على مقربة منها ، وإن كانت الزهراء قد أضحت منذ أواخر عهد الناصر مقر الحكم ومركز البلاط والحاشية ؛ ثم جاء المنصور بن أبى عامر واستولى على مقاليد السلطان ، وأنشأ لنفسه مدينة الزاهرة فى سنة ٣٦٨ هـ على مقربة من جنوبى قرطبة ونقل إليها دواوين الحكم ، وغدت منذ أواخر عهده مركز الحكم والإدارة ، ولكن الخليفة الأموى لبث على عهده من الإقامة فى الزهراء وأحياناً فى قرطبة ولما سقطت الدولة العامرية فى سنة ٣٩٩ هـ . استمرت قرطبة عصر آخر عاصمة للخلافة الأموية أحياناً ، والحمودية أحياناً أخرى ، واقترنت هذه الفترة العصيبة بانهيار الخلافة وانهيار الحكومة المركزية ، وفقدت قرطبة صفتها التالدة كعاصمة للأندلس ، ورأس الدولة العظيمة الموحدة ، وانتشرت الأندلس الكبرى إلى وحدات صغيرة متنافسة ، وقامت دول الطوائف فى المدن والثغور المختلفة ، وغدت كل منها عاصمة لدولة مستقلة بذاتها ، ولم تكن قرطبة عندئذ سوى عاصمة لإحدى هذه الدويلات الصغيرة ، ثم فقدت هذه الصفة غير بعيد :

ولما غلب المرابطون على الأندلس عادت قرطبة قاعدة الحكم والإدارة ، وإن كانت هذه الصفة لم تكن يومئذ من الوضوح والتأثل ، كما كانت من قبل ، واتخذ المرابطون فى نفس الوقت بعض الثغور الجنوبية مثل غرناطة مراكز دفاعية وإدارية ، واستقلت الولايات الشرقية وبقيت خارجة عن حكم المرابطين ، وقامت بها حكومات محلية فى بلنسية ومرسية ؛

وفى عصر الموحدين كانت إشبيلية قاعدة الحكم فى الأندلس ، وتوطدت هذه الصفة بالأخص أيام الخليفة أبى يعقوب يوسف ، وولده الخليفة يعقوب المنصور ؛ وذلك فى أواخر القرن الثانى عشر الميلادى ، وفى هذه الفترة أقيم بإشبيلية القصر والجامع الأعظم وهو الذى ما زالت منارته قائمة حتى اليوم وتعرف بالخيرالدا .

وقد كانت إشبيلية فى الواقع أصلح قاعدة لحكم الموحدين فى ذلك الوقت ، الذى اتجه فيه تيار الحوادث الأندلسية بالأخص نحو ولاية الغرب ، أو بعبارة أخرى نحو البرتغال ، حيث لبث الموحدون خلال أواخر القرن الثانى عشر وأوائل القرن الثالث عشر فى حروب مستمرة مع القوة الجديدة الناشئة فى اسبانيا النصرانية ، أعنى مملكة البرتغال ، حيث كانت القواعد الإسلامية تسقط الواحدة بعد الأخرى .

وكانت غرناطة آخر عاصمة للأندلس ، وهى الأندلس الصغيرة التى قامت على أنقاض الأندلس الكبرى ، باسم مملكة غرناطة ، وعاشت فى ظل بنى الأحمر مائتى عام .

وكان لشرق الأندلس فى الوقت نفسه عاصمة خاصة هى بلنسية ، التى اتخذ منها آل مردنيش قاعدة لحكمهم فى تلك المنطقة ، وقاعدة لخططهم الدفاعية ضد الموحدين .

وقد أبدى الجغرافيون المسلمون منتهى الدقة والبراعة ، فى اقتباس وتعريب المصطلحات الجغرافية الأندلسية ، من أصولها الرومانية والقوطية ، وربما كانوا فى ذلك أوفر دقة منهم ، فى معالجة الأعلام التاريخية . والواقع أن الأسماء الإسبانية التى أطلقت فيما بعد على القواعد والمدن الأندلسية الذاهبة ، لم تكن فى الغالب سوى تحريف لأسمائها العربية ، فمدينة إشبيلية كانت تسمى باسمها الرومانى Hispalis أو Yspalis ، فجاء منطوقها العربى مطابقاً لمنطوقها اللاتينى ، ثم حرفها الإسبان إلى اسمها الحديث وهو Sevilla ؛ وكانت قرطبة تسمى باللاتينية Curduba فتمثل بالعربية كما هو ، وجاء اسمها الإسبانى مطابقاً لاسمها العربى ، وكانت طليطلة تسمى Toletolus فعرب الاسم تعريباً حسناً ، واختصره الإسبان إلى Toled . وكانت باجة تسمى باللاتينية Pexzella فعربت إلى باجة ، وأضحت اليوم Beja : وكانت لشبونة تسمى Olissip فعربت إلى أشبونة وهى اليوم « لشبونة » قس على ذلك معظم المدن الأندلسية ، فقد عربت أسماؤها جميعاً عن أصولها القديمة تعريباً حسناً ، ثم حرفت الأعلام العربية ، بعد ذلك إلى تسمياتها الإسبانية والبرتغالية الحديثة .

وفى أحيان كثيرة يغدو هذا التحريف نوعاً من المطابقة ، كما هو الشأن مثلا فى بلنسية التى ما زالت تنطق بالإسبانية Valencia كما هى بالعربية ، والقلعة التى تنطق بالإسبانية Alcalà وقلعة أيوب ، وهى بالإسبانية Calatayud وقلعة رباح ، وهى بالإسبانية Calatrava والقصر وهى بالإسبانية Alcazar والقصور وهى Caceres إلى غير ذلك :

ولم يكتف العرب فى تعريب الأعلام بالتكييف والاقتباس ، بل زادوا على ذلك أن قاموا بترجمة معانيها فى أحيان كثيرة ، فان ولاية قشتالة مثلا كانت تسمى باللاتينية Alava y Castelle Vetula ، وقد ترجم العرب اسمها إلى « ألبة والقلاع » ونحن نعرف أن Castella أو Castiela معناها القلعة والقلاع . وأطلق العرب اسم شلير أو جبل الثلج على جبال : « سيرا نفادا » والاسم الأول تحريف لاسمها اللاتينى Solair ، وأما الثانى فهو ترجمة مطابقة لاسمها القشتالى القديم Sierra Nevada : وسموا سهل غرناطة بالفحص او المرج ، ومقابله الإسبانى La Vega ويقال إنه تحريف للاسم العربى الفحص . وقس على ذلك أسماء ومصطلحات لا حصر لها .

والخلاصة أن الأعلام الجغرافية الأندلسية تحتل بين تراث الجغرافية العربية مكانة بارزة وتمتاز فى معظمها بالضبط والدقة والمطابقة : وقد لبثت هذه الأعلام والمصطلحات حية متداولة طوال عصور الدولة الإسلامية فى الأندلس ، أعنى حتى أواخر القرن التاسع الهجرى أو الخامس عشر الميلادى ، لا يعتورها

خطأ او تحريف ، ولكنها مذ سقطت غرناطة آخر حواضر الإسلام فى الأندلس فى سنة ١٤٩٢م، أخذت تفقد دقتها تدريجياً ، وتختفى بمضى الزمن شيئاً فشيئاً ، وتحل محلها الأعلام الإسبانية المحرفة عنها ، وقد تسرب هذا التحريف مع الأسف إلى كثر من الكتب العربية ، ولم ينج منه الكتاب المغاربة أنفسهم مع قربهم من الأندلس، وتفوقهم فى آدابها وتاريخها ، وانتهى هذا التحريف فى القرنين السابع عشر والثامن عشر إلى درك مؤلم ، فمثلا نرى الوزير محمد بن عبد الوهاب الغسانى ، سفير مولاى إسماعيل إلى ملك اسبانيا كرلوص الثانى فى سنة ١٦٩٠، وأحمد ابن المهدى الغزال سفير مولاى محمد بن عبد الله إلى كرلوص الثالث فى سنة ١٧٧٦ ، يذكر كل منهما فى رحلته أسماء البلادالأندلسية محرفة تحريفاً يرثى له . فمثلا يسمى الوزير الغسانى مدينة إستجه ، أيسكا ، ومدينة شلوقة باسمها الإسبانى سان لوكار ، ومدينة شذونة باسمها الإسبانى صيدونة . ويسمى الغزال مدينة الجزيرة بالخزيرات، Algeciras وجزيرة طريف بطريفة ، ومدينة شريش بخريز Jerez ، وإستجة ، باسيخا Ecija ، حصن اللوز بازناليوص Izanalloz إلى غير ذلك ، مما يدل على أن المصطلحات الجغرافية الأندلسية كانت فى هذا العهد ، قد نسيت تماماً ، ونسختها أسماؤها الإسبانية نسخاً .

ومن الأسف أن هذا التحريف يمتد اليوم إلى دوائرنا الأدبية ، فنجد المؤرخين ، والكتاب فى الصحافة العربية على وجه العموم ، يمسخون الأعلام الأندلسية فى كتاباتهم ، ويوردونها محرفة عن المصطلحات الأوروبية الإنجليزية أو الفرنسية أو الإسبانية ولو أنهم كلفوا أنفسهم مشقة البحث والتحقيق لألفوا أمامهم تراثاً عريقاً من الأعلام والمصطلحات الأندلسية الأصلية ، يغنيهم عن عجمة المصطلحات الأجنبية ، ويقيهم هذا المسخ والتحريف .

ولقد عنيت أخيراً بوضع فهرس جامع للأعلام الجغرافيـــة والتاريخية الأندلسية ومقابلها باللغة الأسبانيةToponimia Arabigo Espanola ، صدر عن معهدنا المصرى للدراسات الإسلامية بمدريد ، مسترشداً فى ذلك بما بذلته فى بحوثى الأندلسية من تحقيق مستفيض لهذه المصطلحات وما وضعته لسائر مناطق الأندلس من خرائط تفصيلية : ولقد أودعت منه بمكتبة المجمع الموقر بضعة نسخ ليرجع إليها من يشاء .

هذا وقد حظيت جغرافية الأندلس من الجغرافيين والمؤرخين المسلمين بأوفر عناية وتناولها معظم الجغرافيين المتقدمين ، مثل لإصطخرى وابن خرداذبه والمسعودى وابن حوقل وغيرهم ، تناولوها فى إشارات ونبذ قصيرة عند أحاديثهم عن الأقاليم السبعة . ولكن تناولها آخرون لاسيما الجغرافيين الأندلسيين بإفاضة ، وكان من هؤلاء أحمد ابن موسى الرازى ، والحجارى ، وابن سعيد الأندلسى وغيرهم ، ثم جاء المقرى فنقل عن

هؤلاء وعن غيرهم أقوالا كثيرة فى وصف جزيرة الأندلس ، وما اشتملت عليه من الخواص والفضائل ، وفى وصف قواعدها الكبرى مثل قرطبة وإشبيلية وطليطلة ومرسية وغيرها ، وبالرغم من أن المقرى ينقل دون تحقيق أو تمحيص ، فإنه ينقل إلينا فى أحيان كثيرة نبذاً قيمة عن أصول ضاعت وأضحى له الفضل فى نقلها إلينا . على أن الذى شرح لنا جغرافية شبه الجزيرة الأندلسية واستوعبها استيعاباً حسناً ، يشمل سائر خواصها ، وجبالها وأنهارها وبحارها ومدنها ، هو الشريف الإدريسى السبتى المتوفى سنة ٥٦٠ هـ (١١٦٦ م) فهو يخصص لنا فى مؤلفه الجغرافى الجامع « نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق » قسما كبيراً للتحدث عن صفة الأندلس وجغرافيتها ، وتشغل موسوعة الإدريسى الجغرافية عدة مجلدات كبيرة ، وتحتوى على عدد كبير من الخرائط الفريدة ، وقد نشر من « نزهة المشتاق » مختصر طبع فى رومة سنة ١٥٩٣ ، ونشرت منه الأقسام الخاصة باسبانيا وإفريقية وإيطاليا وصقلية مع تراجم إسبانية وفرنسية وإيطالية ، ويجرى منذ حين نشر الكتاب بأكمله على يد لجنة من المستشرقين الإيطاليين ، وقد صدر منه إلى اليوم ثمان كراسات ، وما زال العمل سائراً فى نشر باقيه ، وتزويده بالخرائط والفهارس والمقدمة ، ويمتاز هذا القسم الخاص من « نزهة المشتاق » باسبانيا أو الأندلس بدقته وتفاصيله الواضحة القيمة — التى لا تكاد تختلف فى شىء عما تقدمه إلينا الجغرافية الحديثة فى ذلك الموطن . ويضع الإدريسى شبه الجزيرة الإسبانية ما عدا قسمها الشمالى ، فى الإقليم الرابع ، ويضع قسمها الشمالى مما يلى أراجون فى الإقليم الخامس ، ويقسمها إلى قسمين تفصلهما جبال الشارات Sierra Morena ويسمى القسم الشمالى لهذه الجبال ، بقشتالة ، وهو الذى يضم اليوم ولايتى قشتالة القديمة والحديثة . ويسمى القسم الجنوبى لاسبانيا ، وهو الذى يضم ولاية الأندلس وشرقى الأندلس بالأندلس ، ويسمى السهول المنبسطة داخل شبه الجزيرة بإقليم الكنبانية وهو مشتق من الكلمة الإسبانية Los Campos ومعناها الحقول والسهول ، ويسمى إقليم الهضاب بالشرف Alsarafe ويحدده لنا بأنه الممتد ما بين إشبيلية ولبلة ، والبحر المظلم أى المحيط الأطلنطى . وقد أضحت الكلمتان من المصطلحات الجغرافية الأندلسية . ويبدى الإدريسى عناية خاصة بتسجيل سائر المسافات بين مختلف المدن ، مقدرة بالمراحل أحياناً ، وأحياناً أخرى بالزمن . وترجع دقة الإدريسى ، وتمكنه فى هذا القسم الخاص بالأندلس من معجمه الجغرافى ، إلى أنه درس فى قرطبة ، وتجول فى شبه جزيرة الأندلس شرقاً وشمالا وجنوباً ، وتنقل بين معظم مدنها ودرس أنهارها وجبالها وسهولها وهضابها ، وتجول كذلك فى مياه شبه الجزيرة الغربية الشمالية مما يلى خليج بسكوينة أو مسكونية كما يسميه ، وقضى أعواماً فى هذه الجولات الدراسية واستطاع بعقليته الجغرافية الممتازة أن يقدم إلينا عنها ذلك الوصف البديع الممتع :

وقد لبث وصف الإدريسى للأندلس، وهو الذى أخرجه لنا أولا المستشرقان الهولنديان: دوزى ودى جوبيه ، فى طبعة خاصة ، ثم عاد فأخرجه لنا المستشرق الإسبانى سابيدرا ، لبث مستقى لمعظم الدراسات — الأندلسية العربية اللاحقة . وتناول ياقوت الحموى المتوفى سنة ٦٢٦هـ . فى معجمه الكبير وصف الأندلس وأماكنها ومدنها وجبالها وأنهارها ، فى مواضع متفرقة عديدة من معجمه ، وتمتاز كتاباته فيما كذلك بالضبط والدقة . وممن كتبوا أيضاً عن جغرافية الأندلس أو وصفها عبد الواحد المراكشى تناولها فى تاريخه المسمى « بالمعجب » ، والشقندى الأندلسى ؛ فقد وصف لنا فى رسالته عن « فضل الأندلس » بعض القواعد الأندلسية الكبرى مثل قرطبة وإشبيلية ، ومالقة . وذلك فى عبارات شعرية رقيقة . وكتب عنها العلامة ابن خلدون فى مقدمته عند حديثه عن الأقاليم السبعة ، وهو يضعها فى الإقليم الخامس . وكتب عنها من العلماء المشارقة المتأخرين شهاب الدين العمرى المتوفى سنة ٧٤٩هـ . وتناولها فى موسوعته الجغرافية « مسالك الأبصار » ويبدو مما كتبه العمرى أنه قد زار شمال إفريقية والأندلس ، وقد وصف لنا مملكة غرناطة وأقسامها ومدنها وصفاً دقيقاً مسهباً، ووصف لنا مدينة غرناطة بنوع خاص وصف العارف المتمكن، وذكر لنا أسماء أبوابها السبعة فى أوائل القرن الثامن الهجرى، وتناولها النويرى المتوفى سنة ٧٣٣هـ فى موسوعته « نهاية الأرب » ، والقلقشندى المتوفى سنة ٨٢١ هـ فى موسوعته « صبح الأعشى ». على أن أهم من كتب من المتأخرين عن جغرافية الأندلس هو أبو عبدالله بن عبدالمنعم الحميرى ، تناولها فى مؤلفه « الروض المعطار فى خبر الأقطار » وهوالذى جمعه فى سنة ٨٦٦هـ . وخصها منه بقسم كبير يشغل مجلداً برمته ، يتحدث فيه عن أماكنها و مدنها وبحارها وجبالها بإفاضة ودقة ، ويمزج الجغرافية بالتاريخ فى مواضع كثيرة ، منتفعاً بذلك بجهود من تقدمه من المؤرخين والجغرافيين . وأخيراً يجب ألا ننسى ما كتبه فى ذلك كاتب الأندلس الكبير ومؤرخها لسان الدين ابن الخطيب عن وصف مملكة غرناطة وجغرافيتها فى عصره ؛ أعنى أواخر القرن الثامن الهجرى فى مؤلفه « الإحاطة فى تاريخ غرناطة » وهو فصل يتسم بالرغم من إيجازه ، بكثير من القوة والدقة والطرافة . وما كتبه فى بعض رسائله الأخرى فى وصف مالقة وغيرها من الثغور . وهى أوصاف تقدم إلينا أدق الصور عن مملكة غرناطة وأحوالها العمرانية فى أواسط القرن الثامن الهجرى .

وأما العلماء المستشرقون فإنهم لم يبذلوا فى هذا الميدان ، أعنى جغرافية الأندلس جهوداً ذات شأن ، ولم يأتوا بالأخص فيه بجديد ، وقد اعتمد معظمهم فى بحوثه على مصادر قديمة وغير محققة مثل أقوال كوندى والغزيرى ، التى نقلت بدورها دون تمحيص عن مصادر مخطوطة قديمة . وبذل المستشرقون الإسبان فى ذلك بعض الجهد أمثال سيمونيت

حيث جمع أقوال الجغرافيين الأندلسيين عن مملكة غرناطة وبلادها وأماكنها ، وقدم إلينا مقارنات عن أسمائها القديمة والحديثة ، وكذلك قام أكيلاث وريسرو وغيرهما ، ببعض بحوث مقارنة فى ذلك الميدان .

هذا وأنه لمما يلفت نظر المتجول اليوم فى شبه الجزيرة الإسبانية أنه فيما عدا بعض المناطق الساحلية ، يغلب الجدب والقفر على معظم الهضاب والسهول الداخلية ، وحتى ضفاف الأنهار العظيمة مثل الوادى الكبير ووادى يانه والتاجه ، وهى التى تغنى شعراء الأندلس بخصبها وروعة حدائقها ونضرتها ، قلما تعثر العين اليوم فيها على شىء من الخضر الممتعة . وترى وادى شنيل ومرج غرناطة ، وهو الذى كان أيام المسلمين يفيض بالجنات والرياض النضرة التى أطنب ابن الخطيب فى وصفها ، وقد غلب عليها القفر والعفاء .

وهكذا الشأن فى معظم البقاع التى وصفتها لنا الآداب الأندلسية ، وتغنى بها الشعر الأندلسى ، لا تجد إلا قفاراً دارسة . وليس معنى ذلك أن الطبيعة قد تغيرت ، ولكن معناه أن شبه الجزيرة الإسبانية ، قد فقدت باختفاء الأمة الأندلسية الذكية العاملة ، كثيراً من ضروب النشاط والجد والمثابرة ، والبراعة الفنية والزراعية ، وهى التى كانت أيام المسلمين تجعل من بسائطها المقفرة حدائق وجنات زاهرة .

محمد عبد الله عنان

عضو المجمع

شياطين الشعراء

للدكتور احمد الحوفى

الشعر فيض ووحى وإلهام ، وهو إذا صدر عن عاطفة مشبوبة صادقة فن لا أثر للإرادة فيه ، أو أثرها فيه أضعف من أثر التلقى والطواعية والاستمداد من أغوار النفس وأعماق اللاشعور .

(١) عبقر وشياطين الشعر

نسب العرب كل أمر عجيب إلى الجن وتخيلوا أن عبقرًا واديهم ومقامهم ، وقالوا فى الأمر العظيم عبقرى ، فلاعجب أن وصلوا الشعر بالجن ، ولا عجب أن تخيلوا لكل شاعر شيطاناً يلهمه القريض .

ولكن للشعر شيطانين ، أحدهما مجيد واسمه الهوْبر ، والآخر مفسد واسمه الهَوْجَل .

وكانت عقيدتهم هذه معلومة فى العصر الإسلامى ، فقد روى أن رجلا من تميم أتى الفرزدق وقال له : إنى قلت شعرًا فاسمعه ، قال الفرزدق : أنشدنى ، فقال الرجل :

ومنهم عُمر المحمود نائلُهُ
كأنما رأسه طين الخواتيم

فضحك الفرزدق وقال : يا ابن أخى ، إن للشعر شيطانين أحدهما اسمه الهوبر والآخر اسمه الهوجل ، فمن انفرد به الهوبر جاد شعره ، ومن انفرد به الهوجل فسد شعره ، وقد اجتمعا لك فى هذا البيت فكان معك الهوبر فى أوله فأجدت ، وخالطك الهوجل فى آخره فأفسدت[1] .

وسموا الشعر رُقَى الشياطين ، قال جرير :

رأيت رُقَى الشيطان لاتستفزه
وقد كان شيطانى من الجن راقيا

---

(١) جمهرة أشعار العرب للقرشى ٣٠

وصرح كثير منهم فى العصر الجاهلى وفيما بعده أن شياطينهم تلهمهم أفانين القول ، قال الراجز :

إنى وإن كنت صغيـر السنِّ
وكان فى العيـن نبـو عنى
فإن شيطـانى أميـر الجـنِّ
يـذهب بى فى الشعـر كل فنِّ[1]

وقال حسان فى جاهليته :

ولى صـاحب من بنى الشيصبان
فطـورًا أقـول وطورًا هُـوَهْ

وقال جرير :

إنى ليـلقى عـلىَّ الشعر
مكتهـل من الشيـاطين

(٢) أسـماء بعضـهم

لم يكتفوا بنسبة شعرهم إلى شياطين بل سموها ، فكان لكل شاعر شيطانه ، المسمى ، فشيطان الأعشى مِسحل ،وشيطان فرو بن فَطَن جهَنَّام ، قال الأعشى :

دعوت خليلى مِسْحلا ودعوا له
جَهَنَّام يُعْـدا للغوىِّ المذمَّم[2]

وشيطان المخبل السعدى اسمه عمرو ، قال الشاعر الإسلامى :

لقد كان جنىٌّ للفرزدق قـدوةً
ولا كان فينا مثل فحل المخبَّل
ولا فى القوافى مثل عمرو وشيخه
ولا بعد عمرو شاعر مثل مسمل

وشيطان عبيد بن الأبرص اسمه هَبِيد ، وهو نفسه شيطان بشر بن أبى خازم ، وينسبون إليه قوله :

أنا ابن الصَّلادم أُدعى الهبيد
حبـوتُ القـوافى مَرمَىْ أَسَدْ
عبيـدًا حبـوتُ بمـأثـورة
وأنطقت بشرًا عـلى غير كـدّ
ولاقى بمـدرك رهـط الكميت
مـلاذًا عـزيـزًا ومجدًا وجَدّ
منحنـاهم الشعـر عن قـدرة
فهل تشكر اليوم هـذا معدّ[3] ؟

وسأله الراوى : أما عن نفسك فقـد أخبرتنى ، فأخبرنى عن مدرك ، فقال : هو مدرك بن واغم صاحب الكميت ، وهو ابن عمى .

---

(١) رسائل أبى العلاء ١٠٥ .
(٢) رسائل أبى العلاء ١٠٥ .
(٣) جمهرة أشعار العرب ٢٣ .

وقالوا إن شيطان امرىء القيس لافظ ابن لاحظ ، وشيطان النابغة الذبيانى هاذر[1] ، ونسبوا إلى أبى نواس أنه كان يستعين بإبليسى فى نظم الشعر ، وردوا له أبياتاً منها :

دعوتُ إبليس ثم قلت له
فى خلوة والدموع تنحدرُ
أما ترى كيف قد بليتُ وقد
أقرح جفنى البكاءُ والسهر
إن أنت لم تلق لى المودة فى
صدر حبيبى وأنت مقتدر
لا قلتُ شعرًا ولاسمعت غِناً
ولا جرى فى مفاصلى السَّكَر
فما مضت بعد زاك ثالثة
حتى أتانى الحبيب يعتذر[2]

على أنهم نسبوا إلى الشياطين الغناء أيضاً ، ففى الإسلام قالوا إن الفريض كان يتلقى غناءه عن الجن ، وإن سماره سمعوه وهو يغنيهم ذات ليلة عزيفاً عجيباً وأصواتاً مختلفة أفزعتهم ، فقال لهم إن فيها صوتاً إذا نام سمعه ، ويصبح فيبنى عليه غناءه ، فأصغوا إليه ، فإذا نغمة الغريض فصدقوه[3] .

ولم يقنع أبو النجم أن يكون شيطانه كشياطين الشعراء ، فادعى أن شيطانه ذكر وشياطينهم إناث ، لأن الذكور أقوى من الإناث :

إنى وكل شاعر من البشر
شيطانه أنثى وشيطانى ذكر

وروى بعضهم بيت عمرو بن كلثوم فى مطولته هكذا :

وقد هرَّت كلاب الجن منا
وشذ بنا قتادة من يلينا[4]

وقال صاحب هذه الرواية إن الشعراء كانوا يسمون كلاب الجن ، فالمعنى أننا لبسنا الأسلحة فذكرنا الشعراء ورهبونا .

---

(١) الجمهرة ٢٣
(٢) ديوان ابى نواس .
(٣) الأغانى ٢ — ٣٨٣
(٤) شرح القصائد العشر للتبريزى ٢٢٧ والمعلقات العشر للشنقيطى ١٠٠

(٣) أقاصيصهم مع الشياطين

للشعراء مع شياطينهم أقاصيص ، ومساجلات ومحاكمات منثورة . منها قول جرير بن عبد الله البجلي : سافرت فى الجاهلية ، فأقبلت على بعيرى ليلة أريد أن أستقيه ، فأبى أن يتقدم ، فدنوت من الماء وعقلته ، ثم أتيت الماء ، فإذا قوم مشوهون عنده ، فقعدت ، ثم أتاهم رجل أشد تشويهاً منهم ، فقالوا : هذا شاعرهم ، وطلبوا منه أن ينشدنى ، فأنشد :

ودع هريرة إن الركب مرتحل

وهل تطيق وداعا أيها الرجل

وأنشد القصيدة كلها ، لم يخرم منها بيتاً ، فلما انتهى إلى هذا البيت :

تسمع للحَلْى وسواسا إذا انصرفَتْ

كما استعان بريح عِشْرِقٌ زَجِلُ[1]

أعجبه ، فقلت له : من قائل هذه القصيدة ؟ قال : أنا ، قلت : لولا ماتقول لأخبرتك أن أعشى بنى ثعلبة أنشد فيها عاماً أول بنجران ، فقال : إنك صادق ، أنا الذى ألقيتها على لسانه ، وأنا مسحل صاحبه ، ما ضاع شعر شاعر وضعه عند ميمون بن قيس.

والعجيب أن الأعشى نفسه لقى شيطانه مسحلا وسمع منه[2] ، واعترف أن مسحلا يوحى إليه ، وهو مصدر وحيه ، ولولاه ما شعر :

وما كنت ذا قول ولكن حسبتنى
إذا مسحل يسدى لى القول أعْلَقُ

شريكان فيما بيننا من هوادة
صفيان إنسىٌّ وجنٌّ موفق

يقول فلا أعيا بقول أقوله
كفانى لاعىٌّ ولاهو أخرق

وذكر أبو العلاء المصرى أن أبا بكر ابن دريدٌ قص على أصحابه أنه رأى فيما يرى النائم أن قائلا يقول له : لماذا لاتقول فى الخمر شيئاً ؟ فقال : وهل ترك أبونواس

---

(١) العشرق : شجرة فى أكمامها حب صغير إذا جفت فمرت بها الريح سمعت لحبها خشخشة .

(٢) خزانة الأدب ٣ — ٥٤٩ .

(٣) جمهرة اشعار العرب ٣٠ وسمط اللآلى ١ / ٦٠ .

مقالًا ؟ قال له : أَنت أَشعر منه حيث تقول :

وحمراءُ قبل المزج صفراءُ بعده

أَتت بين ثوبَيْ نرجس وشقائق

حكت وَجْنةَ المعشوق صرفاً فسلطوا

عليها مزاجاً فاكتست لون عاشق

فقال له ابن دريد : من أَنت ؟ قال : أَنا شيطانك ، وسأَله عن اسمه فقال : أَبو زاجية ،وأَخبره أَنه يسكن الموصل[1] .

(٤) بينهم وبين الافرنج

إذا كان العرب قد عزوا شعرهم إلى الجن ، وتخيلوا أَنها تلهمهم ، ونسبوا كل أَمر عظيم إلى عبقر ، فإن الفرنجة أَشبهوهم فى كثير من تخيلهم .

عبر الإنجليز عن العبقرية بكلمة genius ومصدرها الذى اشتقت منه كلمة genii ومعناها جن ، فبين العبقرية والجن علاقة فى اللغة الإنجليزية ، كالعلاقة التى بين عبقر والعبقرية فى اللغة العربية . وقيل : إن أَصل الكلمة لاتينى يدل على معنيين متقابلين : ملك رحيم وشيطان رجيم ، يولد الواحد منهما أَو يولدان معاً بمولد الشاعر . ويقصون عن بعض شعرائهم قصصاً تشبه شبهاً قوياً ما روى عن شياطين شعراء العرب ، فمثلا بدأَ الشاعر كولردج قصيدته (كوبلا خان) وأَتمها له جنى والشاعر نائم ، واستيقظ الشاعر ماسفيلد من نومه لينقل عن جنى قصيدته (المرأَة تتكلم) . وأَغرب من هذين ما رواه وليم بلاك عن نفسه إذ زعم أَنه مسكون ، وأَن ساكنيه ملائكة وشياطين تطارده نهارًا ، وتوقظه ليلا ، لتوحى إليه بما نظم وَحْياً لايستطيع أَن يصده ، ولا قدرة له على تنقيح ما توحى به .

وقال ريلكه إنه ظل أَسير الأَرواح ثلاثة أَيام لم ينقطع فيها نظمه ، وأَخرج ديواناً من دواوينه الروائع ، وأَعجبه ، وألحت الجن عليه أَن ينشره ، فرضى على شريطة أَن يكون النشر بعد وفاته حتى لايتحمل تبعة شعر أَملاه عليه جنى جالس أَمامه[2] .

---

(١) رسائل أبى العلاء ١٠٦ .
(٢) الأدب المقارن لنجيب العقيقى ٤٠

(٥) رأى علم النفس

أما علم النفس فإنه يعزو هذا كله إلى العقل الباطن عند الفنان ، وقد كشفت الدراسات التى قام بها علماء التحليل النفسى عن كثير من عمل العقل الباطن عند الفنان ، وانتهى الدارسون إلى أن الإنتاج الفنى يصدر غالباً عن العقل الباطن كأنه حلم يقظة .

روى ستيفنسن كيف بدأ يكتب قصته الفنية البديعة (دكتور جيكل ومستر هيد) فقال : « إن العمل الحقيقى يقوم به مساعد غير منظور ، أبقيه أنا داخل حجرة عالية مغلقة . . . . . يقوم به أولئك الناس الصغار فى الدماغ فينجزون لى نصف عملى وأنا مستغرق فى نومى ، وربما أنجزوا النصف الباقى وأنا مستيقظ تمام اليقظة ، حيث أظن أنى أنا القائم بالعمل ، وكثيراً مايعن لى أن أعتبر نفسى غير فنان ، بل مخلوقاً شأنه شأن بائع الجبن أو الجبن نفسه » .

ولم تكن جورج إليوت تعتقد فى قوى نفسية غير طبيعية ، ولكنها قالت إنها قد خيل إليها وهى تكتب Adambebe أن عقلا آخر قد استحوذ على قلمها وسيره . وقال جوته إنه كتب أصف رواية له وهو فى غيبوبة حالة يشبهها بحالة النائم الماشى .

وكثير من الأدباء صرحوا بمثل هذا[1] .

وإذا كان الشعر يحلق بجناحين من الخيال فقد حق للشعراء أن ينطلقوا مع خيالهم ، فينسبوا شعرهم إلى قوى وراء حسهم . وتصورهم هذه القوى شياطين ألصق بالخيال ، وأدنى إلى الشعر من التحليل النفسى الذى يرجع الإنتاج الأدبى إلى العقل الباطن للشاعر .

وبعد فلست بهذا أهيم مع الشعراء ، وأجحد حقائق العلم ، وإنما أقرر أن الشعراء كانوا موفقين فى تخيلهم وفى دعواهم أن لهم شياطين تلهمهم أو تملى عليهم .

أحمد الحوفى
عضو المجمع

---

(١) كيف يعمل العقل . سرل برت ٢١٨٢ — ٢٢٠

جهود المجمع العلمي الأول
في خدمة العربية في الشام

للأستاذ سعيد الأفغاني

نحن اليوم — بل إلى عهد قريب على الأصح — ننعم في إذاعاتنا وحفلاتنا، ومحاضراتنا ونوادينا، وصحفنا ومجلاتنا، وبياناتنا ونشراتنا، وحتى في خطب بعض وزرائنا وارتجال بعض زعمائنا — نحن في كل ذلك ننعم ببيان مشرق ولغة سلسلة، وشعر جيد ونثر رفيع، وحياة أدبية وسبل ممهدة ومناهج مطروقة ... فنغتبط بكل ذلك، وينسى أكثرنا عرق الكادحين الذين أنضوا أجسامهم وأعشوا أبصارهم ومهدوا السبل وتحملوا المشاق، وأوذوا في أموالهم وأبدانهم وسيرتهم لتكون اللغة العربية حية في بلادها فيحيا بحياتها العرب. ينسى ذلك أكثرنا إلا قليلًا من العارفين المعمَّرين الذين يقولون: «ليت الرعيل الأول من

(*) في البدء لابد من تحديد المراد بالمجمع الأول لأن الغريب عن هذه المؤسسة يخلط بين مؤسسات ثلاث تعاقبت، وكل منها احتل المدرسة العادلية الكبرى تجاه دار الكتب الظاهرية بدمشق وحمل اسم المجمع.

فالأول هو المعروف في البيئات العلمية والمبادر إلى الذهن حين يطلق اسم (المجمع العلمي العربي) وقد عاش خمس عشرة سنة (١٩١٩ — ١٩٣٤) حياة حميدة كلها إنتاج وخير، ثم ألغي زمن الاحتلال لأسباب — زعموا — مالية.

والثاني يبدأ سنة ١٩٤١ حين اقتضت سياسة المحتلين الدعائية في الحرب الثانية إعادته.

والثالث يبدأ — في الحقيقة — بعد وفاة مؤسسي المجمع الأول محمد كرد علي رحمه الله سنة ١٩٥٣ ثم يصبح فرعاً لمجمع اللغة العربية في القاهرة ويحمل اسمه منذ سنة ١٩٦٠، وهو مغاير كل المغايرة للمجمع الأول.

وكلمتنا هذه خاصة بالمجمع الأول الذي ألغي سنة ١٩٣٤. وليس من شأننا الكلام عما حصل بعده.

مناضلينا امتدت حياتهم إلى هذة الأيام ليروا راية لغتهم مرفوعة ، وسيادة أُمتهم حقيقة فينعموا بثمرات ماتعبوا فى غرسه» .

* * *

لما وضعت الحرب العامة الأُولى أوزارها ونشأ فى الشام أول حكم عربى جديد ، واضطلع به أُولئك الصابرون من بقايا السيوف ، كان ما أدوا إلى العربية فى الشام عجباً من العجب : شبان تعلم أكثرهم باللغة التركية فى غير بلادهم ، فظلوا بحكم بيئاتهم ومناصبهم لايتكلمون غيرها إلا فى إجازات إلى الشام ، ثم يتسلمون الأعباء ؛ فهل سمعتم بدولة ولدت فغيرت اللغة المفروضة على البلاد وأوضاعها بجرة قلم ؟ !

هذا ما جرى بالشام أيام الحكم الفيصلى : حرمت التركية بمصطلحاتها ومواصفاتها جميعاً ، ثم عبئت الكفايات فى لجانٍ لتعريب مصطلحات الجيش وإدارات الدولة وكتب المدارس ... يتولى ذلك كله بدأب لايمل علماء بالعربية ، حتى الطلاب فى المدارس فرضوا على أنفسهم عقوبات إن هم تكلموا فى الفرص بين الدروس بغير الفصحى ، بل كان جو الشام كله حينئذ (سنة ١٩١٩) لايشغله إلا عروبة وحماسة لها وإيمان بها ، وهمم تتسارع فى البناء ، تسابق الزمن وتسد المنافذ على الأحداث ، تلمس هذا الوعى فى الشيخ والطفل والشباب ، والعالم والجاهل ، والرجال والنساء ، وكان يصور هذه الإرادة أصدق تمثيل ماكنا ننشده كل صباح فى صفوفنا الأولية والابتدائية ، ويردده تلاميذ الثانويات وطلاب الجامعات ، والجنود فى الثكنات ، والعامة فى المظاهرات ، النشيد الذى شرَّق وغرَّب :

بلاد العرب أوطانى
من الشام لبغدان

ومن نجد إلى يمن
إلى مصر فتطوان

وبعد سنتين رفرف فيهما هذا العهد العربى كالحلم الجميل ، زحفت جيوش الاحتلال من بيروت ، فخف المجاهدون من الجند والمتطوعة إلى (ميسلون) لصد الزحف مع عدم التكافؤ بين المجاهدين والمحتلين لا فى العدد ولا فى العُدد ،

فثبت المجاهدون ساعة استشهد فيها أكثرهم ، واستشهد قائدهم ، فتقوّض الاستقلال ونحن لانزال فى الدراسة الأولية الابتدائية سنة ١٩٢٠ ، فحملنا قهر العدوان وهمّة صغاراً ثم اكتوينا بشراسته وجحيمه كبارا ، ولم يبق بأيدينا – على رغمه – إلا عقيدتنا ولغتنا . . مضينا فى إعزازهما وتمكينهما حتى اطمأننا عليهما ، وكانتاهما النار المقدسة التى أججت النضال خمساً وعشرين سنة ، حتى أزال الله الاحتلال . فماذا كان عمل المجمع العلمى الأول يومئذ ؟

أعلن الحكم العربى المستقل والتركية لغة إدارات الحكومة والجيش وسائر المصالح التى يغشاها الناس فى حاجاتهم كل يوم ولايستغنى عن معاملتها أحد ، وكان على المسؤولين تعريبها تعريباً شاملا لايقتصر أثره على موظفى الإدارات نفسها ، ولكن يتعداها إلى الناس كافة ، فبُدئ بسرعة بإصلاح لغة الدواوين بإمداد الحكومة بكل ما تحتاج إليه من مصطلحات تقوم مقام المصطلحات التركية ، وبمصطلحات مستجدة توضع وضعا . فتألفت لذلك لجنتان :

١ – لجنة عربية خاصة بالجيش برياسة المرحوم ياسين بك الهاشمى [1] لوضع جميع مايحتاج إليه الجيش من إيعازات ومصطلحات فنية ، فقامت بعملها خير قيام ، وقدمت نتائج جهودها فوضعت موضع الاستعمال من غير إبطاء. ومالبث الناس أن ألفوا الأوضاع الجديدة واستعملوها .

٢ – واللجنة الثانية عامة ، ألفها الحاكم العسكرى على رضا باشا الركابى – وهو أحد الرجالات العظام – فى ٢٨ /١١ /١٩١٨ أى فى الشهر الثانى لجلاء الأتراك ، ألفها بين ما ألف من شعب إدارية وفنية لإنجاز أعمال الدولة الجديدة ، وسماها (الشعبة الأولى للترجمة والتأليف) ، مهمتها تعريب

---

(١) وعضوية رشيد بقدونس ومراد الاختبار وهما من كبار الضباط ، والشيخ عبد القادر المبارك من علماء العربية رحم الله الجميع . وتجب الإشارة هنا إلى أن العهد الفيصلى فى سورية قام على سواعد أعلام شاميين من سورية والأردن وفلسطين ولبنان وعراقيين وحجازيين ، ولم تكن يومئذ هذه الجنسيات التى ابتدعت فيما بعد .

الدواوين ونشر العربية بين الموظفين ، ثم سميت هذه الشعبة بعد أن ضُم إليها شؤون المعارف بـ (ديوان المعارف) ، وأُسندت رياسته إلى العلم المشهور محمد كرد على فى ١٢ /٢ /١٩١٩ م .

وكانت لجنة المصطلحات فيها برياسة الأُستاذ ساطع الحصرى ، وعضوية الأُستاذين : عز الدين التوخى وحبيب إصطفان . ثم فصلت الشعبة الأُولى عن ديوان المعارف واستقلت باسم (المجمع العلمى العربى) فى ٨ /٦ /١٩١٩ ، ومارس المجمع أعماله مستقلا ثم شرح خطته فى بيان بعنوان (إصلاح لغة الدواوين) جاء فيه :

« لما تأسست الحكومة العربية وتألفت دواوينها ومصالحها المختلفة أحس رؤساء الدواوين وكتابها بشديد الحاجة إلى كلمات وأساليب إدارية عربية جديدة تخلف تلك الأُخرى القديمة الأعجمية فى مادتها وأسلوبها ، وأحبوا أن ينزعوا عن لغتهم التى اشتهرت باسم (لغة الدواوين) عجمتها وركتها ، ثم يحاولوها من الكلم والأساليب بما يكون فى العروبة أعرق ، وبالفصاحة أعلق .

وقد صادف اهتمامهم هذا إنشاء المجمع العلمى العربى ، فأخذوا يرسلون إليه جرائد (قوائم) تتضمن ما يدور فى معاملاتهم وعلى أسلات أقلامهم فى الكلمات والأساليب ، ويرغبون إلى المجمع فى النظر فيها واستبدال غيرها بها . فوافى المجمع رغبتهم فى هذا الاقتراح النافع ، ونظر فى كلمات وتعابير كثيرة وردت إليه من [إدارات] المعارف ، والأوقاف ، والشرطة ، والمجلس البلدى والصحة ، والمصرف الزراعى ؛ فأبقى بعضها على حاله لصحته وعروبته ، وبدل بعضها كل التبديل ، وعدل الآخر تعديلاقليلا أو كثيراً حتى اجتمع لديه من ذلك ما يحسن نشره وعرضه على رؤساء الدواوين ورجال الصحافة فيرون رأيهم فيه »[1] .

ومضى المجمع على خطته التى وصف ، ينجز فى كل جلسة عدداً غير قليل مما تحتاج إليه مصالح الحكومة من أوضاع وتراكيب . وقد طبع من أجل

---

(١) مجلة المجمع العلمى العربى ١ / ٤٣

ذلك على نفقة (ديوان المعارف) ، سنة ١٩١٩ م (رسالة لغوية فى الرتب والألقاب وما يقابلها من العربى الصحيح مبنية على الرتب والألقاب فى مصر) لأحمد تيمور باشا . وقد أشار المجمع إلى ما كان يكلفه وضع المصطلحات من مراجعات فى الكتب القديمة ثم مداولات فيها بقوله يصدد أعماله فى دوره الأول :

« ومنها البحث فى عشرات من الألفاظ المتداولة فى أكثر دوائر الحكومة ، وتقرير الفصيح منها اعتماداً على أمهات الكتب القديمة مما استغرق النظر فيه جلسات عديدة للمراجعة والمفاوضة والتحقيق . »[1] ، « وترجم ونقح بعض القوانين كقانون التعليم الابتدائى وقانون الصحة العامة وقانون الحجر الصحى وبعض القوانين المالية »[2].

ويشير الأستاذ ساطع الحصرى إلى هذه الفترة بقوله : «واستحدثت الحكومة دروساً خاصة بالموظفين تستهدف تعليم الإنشاء العربى ، وأخذ عدد غير قليل من الأدباء والموظفين يراجعون الكتب العربية القديمة ؛ بغية إيجاد المصطلحات وتقرير أفصح الأساليب التى تليق بحكومة عربية حديثة ، وتألفت لهذا الغرض لجان عديدة سعت وراء تنسيق هذه الجهود وتعجيل ثمراتها ؛ وأصبحت بذلك الدولة السورية تستحق اسم الدولة العربية بصورة فعلية »[3]. وأكثر الذين أشار إليهم الحصرى من أعضاء هذا المجمع القديم .

حدد المجمع العلمى أهدافه فى منشور عام وزعه رئيسه فى الشهر التاسع لسنة ١٩١٩ باللغتين العربية والفرنسية على مجلات ومجامع ودور نشر فى الشرق والغرب ، يعنينا منه قوله :

« . . وقد وكل إلى المجمع النظر فى اللغة العربية وأوضاعها العصرية ، ونشر آدابها وإحياء مخطوطاتها ، وتعريب ما ينقصها من كتب العلوم والصناعات والفنون من

---

(١) مجلة المجمع العلمى العربى ١ / ٢٩

(٢) تاريخ المجمع العلمى العربى لأحمد الفتيح ص ١٧

(٣) يوم ميسلون لساطع الحصرى ص ٢٣٠ – بيروت (مكتبة الكشاف)

اللغات الأُوروبية ، وتأْليف ماتحتاج إليه من الكتب المختلفة المواضيع على نمط جديد . . . كما عنى بجمع المخطوطات القديمة الشرقية والمطبوعات العربية والإفرنجية على اختلاف موضوعاتها . . . وعنى بالمكتبة الظاهرية وكان فيها نحو أربعة آلاف مجلد معظمها مخطوط ، فأَضاف إليها نوادر المخطوطات والمطبوعات من شرقية وغربية ، فابتاع لها أكثر من ألفى مجلد حتى بلغ عدد مخطوطاتها زهاء ثلاثة آلاف مجلد بينها أُمهات الكتب المفيدة فى التاريخ والأدب والفنون المختلفة ، بخطوط قديمة كثير منها بيد مؤلفيها ، ونسخ مضبوطة بقراءتها على كبار العلماء . . . ذلك فضلاً عن عناية هذا المجمع بوضع بعض التواريخ وتعريب بعض الكتب المفيدة ، وطبع الرسائل العلمية اللغوية فى الأوضاع المدنية وغيرها »[1] .

والحق أن المجمع جال فى غير ميدان واحد ولا أعرض هنا لبيان جهوده فى ميادين مختلفة كالبحوث اللغوية الفنية التى حوتها مجلته مما لا يعنى إلا أهل الاختصاص ؛ إذ لى فى كثير منها رأى خاص ليس هذا مجال إيراده وإنما مجالنا ما قدم المجمع للجماهير من خير غير قليل وخدمات عامة أسداها العارفون من أعضائه القدامى إلى اللغة العربية . وأستطيع تنسيق ذلك فى أُمور خمسة : تعريب المصطلحات ، والنظر فى لغة الكتب المدرسية ، والمحاضرات العامة للجمهور ، وتصحيح الأخطاء الشائعة فى الصحف وغيرها ، والإعداد لمعجمات فنية خاصة .

١ ــ الأمر الأول : تعريب المصطلحات التى طلبتها مصالح الحكومة أو الأفراد :

رفع المجمع إلى الحاكم العسكرى فى هذا الشأن قراره الآتى المستخدم فى ١٩١٩/١٠/١٤ وفيه بيان خطته جاء فيه :

« لما كانت الحكومات المختلفة قد تعاقبت على هذه البلاد بعد الفتح العربى ، وغيرت كثيرا من الأوضاع التى اصطلح عليها كتاب الدواوين ، وشوهت محاسنها ولا سيما فى عهد دول التتر والترك ، مست الحاجة إلى تجديد الأوضاع الأُولى وتعريب الأُخرى منها ، ووضع ألفاظ جديدة لمعان لم تكن قبلا ، وإلغاء ألفاظ لا توجد مسمياتها اليوم ، فأجلنا النظر فى كثير من كتب الخطط والأحكام السلطانية

---

(١) مجلة المجمع العلمى العربى ١ / ٦

والدواوين والترسل والوثائق وماشاكل ، أهمها :

كتاب الخراج لأبى يوسف ، والخراج لقدامة بن جعفر، وكتب الفتوح وأشباهها مثل مقدمة ابن خلدو وبعض التواريخ المشهورة ، وكتاب الطر للصلاح الصفدى والأحكام السلطانية للماوردى ، والأحكام السلطانية لأبى يعلى الحنبلى ، وساوك المسالك لابن أبى الربيع، وقوانين الدواوين لابن مماتى ، وكنز الكتاب لشاجم الرم والتعريف بالمصطلح الشريف لابن فضل الله العمرى ومفاتيح العلوم للخوارزمى ، ومعالم الكتاب لابن شيث القرشى وصبح الأعشى للقلقشندى ... إلى كثير من من أشباه هذه الكتب من مطبوعة ومخطوطة وهى معتمدة عند أرباب اللغة والتاريخ ، وبعضها — إن لم نقل كلها — من النوادر المحفوظة فى بعض المكاتب .

وبعد أن اخترنا من الألفاظ ما رأيناه من حاجات دوائرنا اليوم ، أخذنا مصطلحات الدوائر الملكية المدنية والعسكرية ، وبدأنا فى اختيار ما يناسبها ووضع ما لم نجده ، أو تغييره لتغيير مفاده اليوم ، فاخترنا لها هذه الأوضاع بعد تمحيصها والمذاكرة فيها ، راجين أن يعمم استعمال هذه المصطلحات الفصيحة ، إحياءً للغة العربية ، ورجوعاً إلى نضرتها الأولى » .

وكأن المجمع تنبأ بأن بعض مصطلحاته سيخدش الأسماع أول الأمر لعدم إلفه ، وأنها ستصقل — بمرور الزمن — فنبه المواطنين بقوله : « لا يخفى أن مجرد وضع المجمع لهذه الكلمات لا يفيد الفائدة المرغوبة مالم يتناولها الأفاضل رؤساء الدواوين ورجال الصحافة ، فيستعملوها فى كتاباتهم ويزيلوا خشونتها وغرابتها بالتداول والتخاطب والتراسل بينهم » ، وأوصى « إذا استعمل أحدهم هذه الأوضاع الجديدة حسن أولاً أن يتبعه بأصله القديم فيزيد بذلك وضوحاً وشيوعاً بين الناس ، فإذا استعمل كلمة (حاشية) مثلا أتبعها بالمصطلح الشائع سابقا بكلمة (در كنار) واضعاً لها بين هلالين ».

---

(١) وثيقة صادرة إلى الحاكم العسكرى برقم ٢٥٨ وتاريخ ١٤ — ١ — ١٩١٩ وانظر تاريخ المجمع العلمى ص ١٧

(٢) تاريخ المجمع العلمى ص ٢٣ فما بعد .

ومع ما كلفهم ذلك من جهود لم يمنُّوا ،ولم يتبجَّحوا ، بل تحلَّوا بالتواضع حلية العلماء شاعرين أنهم يؤدون بعض ما عليهم لأُمتهم جاعلين فى الوقت نفسه لعامل الزمن والذوق العام حساباً حين قالوا :

«ونحن على يقين من أن ما اخترناه للكتاب الأفاضل من هذه الأوضاع والتعابير الجديدة لم يكن خير ما يقال ، وأفضل ما ما يعول عليه ، إذ قد يتفق لبعضهم أن يخطر له كلمة أو تعبير خير مما وضعنا واخترنا ، فله أن يستعمل ما ارتآه ، كما أن لغيره أن يستعمل ما ارتأيناه نحن، فتحيا الكلمتان معاً أو إحداهما التى تكون أفصح وأصلح ... وبعض الكلمات التى جددناها مقتبس من أوضاع الدول العربية القديمة كديوان الخراج وديوان العمائر »[1] .

بعد هذا البيان بدأ المجمع ينشر فى الصحف قوائم فى ثلاثة أصناف :

١ ـ صنف حوى كلمات عربت أو حولت عن أصلها ، فالمعرب مثل كلمة (الطابو) عربوها بـ (التمليك) ، و(سرقوميسيير) عربوه بـ (مفوض أول) ، و (سيشيل قوميسيير) عربوه بـ (مفوض التحرى) ، و (نوبتچى) عربوه بـ (آذِن أو بواب) ، و (أوده جى) بـ (فراش) و (ذمت وإيليشك) بـ (الدين والعلاقة) و (قاصة دفترى) بـ (دفتر الخزانة) ، و (خرجراه) بـ (نفقة السفر) . . إلى آخر الكلمات التركية أو الفرنسية المشتركة .

وما حول عن أصله مثل (دائرة الهندسة) حول إلى (لجنة التخطيط) ، و (المأْمور الصحى) حول إلى (الملقِّح) ، و (الهيئة الفنية لإنشاءات الأوقاف) جعلوه (لجنة العمائر فى الأوقاف) وهكذا مما وضَّح المدلول وأزال عمومه أو اختصر اسمه .

٢ ـ وصنف عدلوه بعض التعديل مثل (مدير التحريرات) جعلوه (مدير الرسائل) ، و(القائمقام) جعلوه (القيم) و (أوراق موروده) جعلوه (الرسائل الواردة) . . وهكذا[1]

٣ ـ و صنف ثالث حوى كلمات مختلفة تدل على أثاث أو معلقات أو غيرها مما يستعمله الناس ،فكلمة (ماصة) التركية مثلا عربوها بـ (مكتب) و (قولتق) عربوها بـ(متكأ) و (دوسه) عربوها بـ(إضبارة

---

(١) تاريخ المجمع العلمى ص ٢٣ فما بعد .

أو ملف)فراجت الإضارة فى الشام. وراج (الملف) فى مصر وليبية ، و(روزنامه) عربوها بـ ((تقويم) وهى الرائجة اليوم فى الشام . وتتابعت هذه القوائم حتى سدت حاجة المصالح الحكومية يومئذ .

إضافةً إلى ماتقدم كانت ترد على المجمع طلبات كثيرة من الأفراد تطلب مقابلاً لكلمات أجنبية تركية وفرنسية وإيطالية يستعملها الناس مما يسمى زملاؤنا فى مصر (ألفاظ الحضارة) فكانت تنشر فى الصحف اليومية الطلبات وتلبياتها ، بل تأتى المجمع طلبات من خارج سورية (المختصرة فى عهد الاحتلال) ، فهذا الأستاذ بولس الخورى من بيروت قدم إلى المجمع اقتراحاً « يطلب فيه وضع أسماء للرتب العلمية والألقاب التى تمنحها الجامعات لطلابها فأُحيل اقتراحه على الأستاذ أنيس سلوم فأجاب عليه [1] » .

لم يقتصر هذا التشوف إلى التعريب السريع على أجزاء الشام (سورية المختصرة ولبنان المكبر والأردن وفلسطين واسكندرونة) بل جاوزها إلى العراق ، ويجب ألاننسى أن الشام والعراق عمهتما حماسة شديدة للعروبة منذ العهد العثمانى ، يدلك على ذلك تضافر أعلام من العراق ومصر إلى جانب السوريين فى إذكاء هذه الروح فى مجلة المجمع ، والوقوف بالمرصاد للمشككين من المستتركين فى الداخل أو المتفرنسين فى الساحل ، فهذا الأب أنستاس الكرملى من العراق ينشر فى المجلة بحثاً حوى الملاحظات الآتية التى تصور فى تعبيرها جو التبرم بهؤلاء المشككين :

« أولا ـ على كل عربى متفرنج ألايقطع بعجز اللغة أو ضعفها إن لم يكن له وقوف على أسرارها وألفاظها ودقائق معانيها ومبانيها.

ثانياً ـ يحسن به أن يستفتى أحد الأدباء أو يستشيره أو يبحث هو بنفسه عما ينشده من أمر ضالته .

ثالثاً ـ إن لم يفز بطائل فلينسب العجز إلى نفسه ، أو إلى من أراد أن يغترف من بحار أفكارهم ، ولا ينسب شيئاً إلى اللغة ، فاللغة كنز مدفون أو كالمدفون ؛ فإذا كان لايوجد من يدلك عليه فهذا لاينفى وجوده» [2]

---

(١) حاضر اللغة العربية لسعيد الأفغانى ص ١٠٢ ـ الطبعة الثانية : دار الفكر ببيروت سنة ١٩٧١

(٢) مجلة المجمع العلمى العربى ١ / ٢٣٩ سنة ١٩٢١

كان ذلك قبل ٥٧ سنة إثر الاحتلال الفرنسى والإنكليزى ،وقد رحل الاحتلالان رسمياً على الأقل ، وقامت فى عقر دارنا جامعة أجنبية صهيونية (الجامعة العبرية) منذ أربعين عاماً ، تدرس العلوم وأحدث الاكتشافات بلغة ميتة حقًا لكنها لغة أجدادهم وتوراتهم على كل حال ، أحيوها ليحيوا ؛ وما يزال فينا من جُنِّد ليردنا مئة عام إلى الوراء فيتساءل توانيًا وكسلاً وكعاعة ولكاعة: «أتصلح العربية لتدريس العلوم » ؟

هذا عن الأمر الأول ،أمر المصطلحات ؛ فلنتابع الحديث بإيجاز عن بقية الأمور الخمسة :

٢ ــ الأمر الثانى : الكتب المدرسية :

صدرت الأوامر إلى المعلمين فى المدارس الابتدائية والثانوية بترجمة الكتب المدرسية من التركية إلى العربية بالسرعة القصوى ، ثم ينظر فى لغة كل كتاب مترجم أو مؤلف أحد أعضاء المجمع أو أحد المختصين باللغة العربية ، فيصلح لغتها ويشارك صاحب الاختصاص فى ترجمة المصطلحات ، وكنت ترى على غلاف كل كتاب ، تحت اسم المؤلف والمترجم هذه الجملة : (نظر فى أسلوب إنشائه فلان عضو المجمع العلمى العربى) ، وأذكر أن كل الكتب التى درستُ فيها بالمدرسة الأولية تحمل هذه الجملة .

ولايحتاج أثر هذه الخطة فى سرعة قلب الأوضاع إلى بيان. ثم كثر فى المعلمين أرباب السلائق السليمة فى اللغة ، فخف العبءُ عن أعضاء المجمع . وظاهر أن ميدان المدارس أوسع مجالاً من إدارات الحكومة ، إذ بعد خمس سنين من الحكم العربى صار أكثر طبقة الموظفين ممن يحسنون لغتهم إنشاءً وقراءة وذوقا .

٣ ــ الأمر الثالث : المحاضرات :

نشط الأعضاء إلى تثقيف الشعب عامة : الطلاب والأميين والعلماء والعامة ، فكانت محاضراتهم فى ميادين الأدب واللغة والاجتماع والأخلاق والصحة والعلوم والدين .. تعرض ميسرة المعلومات ،واضحة البيان بحيث يفيد منها العالم والعامى كل بحسب استعداده ، وقل أن خرج العامى بغير فائدة.

ومما يسر الأمر على عامة الناس أن دار المجمع فى المدرسة العادلية هى فى

لب البلدة القديمة ليس بينها وبين الجامع الأموى الكبير إلا خطوات.

كان أثر المحاضرات هذه غير ضئيل فى تأليف الآذان على الأنس بالفصحى والنطق السليم ، وزيادة فى التشويق كان المجمع يضمن الإعلان عن المحاضرات فى الصحف : أن قصيدة للشاعر فلان ستلقى عقب المحاضرة ، وأغلب هذه القصائد وطنية تندد بالظلم وتغرى بمقاومته. فيقبل الناس لينفثوا عن صدورهم غيظها وضيقها بالمحتلين وليؤمنوا أن القمع مهما يشتد لا يكمّ الأفواه الحرة الذكية. فكانت تغص قاعدة المحاضرات عقب صلاة العصر كل يوم جمعة بالمستمعين ولا سيما فى الشتاء. ولقد أحصيت فى حياة هذا المجمع خمس عشرة سنة (١٩١٩ – ١٩٣٤) مئتين وستًّا وخمسين محاضرة عامة .

٤ ــ الأمر الرابع : تصحيح الأخطاء الشائعة :

وهو ما كان ينشره المجمع فى الصحف اليومية بعنوان (عثرات الأقلام) وهى سلسلة مقالات بلغت الثلاثين ، يعاد نشرها فى المجلة بعد أن تنشرها الصحف، وقد بينوا خطتهم فى المقالة الأولى بقولهم :

«رأى المجمع أن ينشر فى مجلته ورق الصحف المحلية من وقت إلى آخر نبذة لا تتجاوز العمودين فى نقد ما تهفو به أقلام بعض الكتاب فيما يكتبونه ويحررونه وسنجتهد فى الاقتصار على ما نظنه خطأً من القول مما يحتاج الأمر فيه إلى الرد والمناقشة . . . وندع التصريح باسم الكاتب الذى نؤاخذه والصحيفة التى كتب فيها ، فعسى أن يقع عملنا هذا من أهل الفضل موقع الرضا والقبول فيتدبروا ملاحظاتنا هذه ويراعوا العمل بها كلما سنحت فى كتاباتهم أو دارت على أسلات أقلامهم [1] »

وإليكم بعض الأمثلة مما نشروا :

« فمن عثرات الأقلام قولهم : (عدم اعتياد الموظفين على كذا) صوابه (عدم اعتيادهم كذا) . . . وقولهم : (أجمعت الصحف على حياد إنكلترا وعدم مداخلتها مع اليونان) وإذا لم يكن بدمن استعمال (مداخلة) فالأصح أن يقال (وعدم مداخلتها اليونان)... وقولهم : (وصل البلد عصارى يوم الجمعة) صوابه (عصر يوم الجمعة) لأن (عصارى) ليست فى كتب اللغة . . . وقولهم :

---

(١) مجلة المجمع العلمى ١ / ١٧٣ فما بعد

(استفسروا من بعضهم بعضاً) وقولهم (ينظرون إلى بعضهم البعض) صوابه (استفسر بعضهم بعضاً) و (ينظر بعضهم إلى بعض) [قالوا] وهو غلط فاحش فليتنبه إليه .وقولهم (فلان كفؤ لوظيفة كذا) و (فلان من الأكفاء لكذا) وصوابه (فلان كفىٌّ وهو من الأكفياء) أى ذو كفاية ومقدرة على العمل ، أما (الكفؤ) بالهمزة فهو بمعنى المثل واستعماله بمعنى (الكفىٌّ) بالياء خطأٌ ينبغى التفطن لهُ . . . وقولهم (جاء القوم بما فيهم العلماء) صوابه أن يقال : (جاؤُوا وفيهم العلماء) . . . إلخ »[1] .

ولم يكتفوا بالنشر ، بل كانوا يتابعون آثار تصحيحاتهم ، فحين يرون الخطأ يتكرر ينبهون أصحاب الصحف تنبيه المسيطر المؤاخذ ، فقد جاء فى مجلتهم : « إننا عجبنا لأغلاط ننبه إليها ونشير إلى الصواب أو الأصوب ، ثم نراها أحياناً فى الصحف ، بل أعجب من ذلك أن نرى الأغلاط تُعاد وتُكرر فى الصحيفة التى تنشر (العثرات) ، فنرجو حضرات مصححى الصحف أن يلاحظوا ذلك ؛ وإلا لم يكن لنشر (العثرات) فى صحفهم معنى ولا قيمة ، وصح أن يخاطبوا بقول الشاعر :

يا أيها الرجل المعلم غيره . . . البيتين[2] »

كانت استجابة الناس لهذه التصحيحات استجابة عمل بها فى الجملة ، وقد عاد هذا الإصلاح المتسلسل على كتاب المصحف والقراء والطلاب بكل خير فى تقويم أساليبهم .

٥ ـ الشروع فى بعض أعمال معجمية :

أما هذا الأمر الخامس فيختلف ، إذ أن الأمور الأربعة السابقة كانت ميادينها عامة للجماهير ، أما هذا فميدانه علمى خاص ، عنيت بذلك الألفاظ التى يجمعها المختصون فى اختصاصاتهم ليكون لهم منها شبه المعجمات الفنية الخاصة ، فبعض أعضاء المجمع أساتيذ فى مواد علمية يدرسونها فى كلية الطب ، وقد ذيل أكثر هؤلاء كتبهم العلمية ـ وهى فى اللغة العربية طبعاً ـ ذيلوها بمعجم

---

(١) الحاشية السابقة

(٢) مجلة المجمع العلمى ٢ / ٨٨ .

ملحق فى المصطلحات التى وضعوها إزاءَ المصطلحات الفرنسية ، وذلك أعلق بموضوع الجامعه لا المجمع. ومع هذا فإليكم وصفاً لجراحة فتق نادرة قام بها أحد أساتذة المعهد الطبى بدمشق :

فتق مغبنى عَرْطَل(*) geant

للحكيم (لوسركل) أستاذ السريريات الخارجية .

ترجمة الدكتور مرشد خاطر

تسمحون لى بعد أن ذكرت بعض المجلات الجراحية فتوقاً ضخمة ورسمت رسومها أن أُقدم لمجلتكم رسمين يمثلان مريضاً عمره (٣١) سنة ، ومهنته لحّاد ، كان مصابًا بفتق مغبنى أيسر غير قابل الرد ، فأُجريت عمليته فى حزيران المنصرم (سنة ١٩٢٥) ، وقد رغبت فى نشر هذه الحادثة لأن هذا الفتق غريب بحجمه ومحتوياته وطريقة إجرائه :

أما حجمه فهو ضخم جدًّا ولم أُصادف له شبيهًا مع أننى مارست الجراحة منذ مدة طويلة ، فهو خليق بأن يدعى (عَرْطلًا geant) لأنه لا يقل حجمًا عن الفتوق التى سميت بهذا الاسم ونشرتها المجلات الجراحية ، ولعله يفوقها حجمًا وهذه مقاييسه :

طوله من العانة حتى قطب العنق السفلى ٤٥ سانتيمترًا

محيطه عند جذره ٣٥ سانتيمترًا

محيطه فى أغلظ مكان منه ٦٥ سانتيمترًا

ويخيل للناظر إليه . . أنه « ورم فيلى » فهو يتجاوز الركبة فى حالة الوقوف ، وأما حين استلقاء المريض على ظهره فإنه ينبسط على فخذى المريض ويقصر سانتيمتر أو سانتيمترين ، إلا أنه يزداد حينئذ عرضه بقدر ماينقص طوله . وكانت تبدو على الصفن أوردة متوسعة توسعًا كبيرًا . أما محتوياته فكانت : القسم الأكبر من المِعىَ الدقيقة ، والأعور الذى كان كثيفًا متوسعًا يصحبه الذيل الدودى ، وقسم كبير من القولون .

أما العملية الجراحية فقد تم إجراؤُها كما يلى :

بعد أن خدر المريض تخديرًا قطنيًا بحقن أربعة سانتيمترات (ستوفايين)

(*) العرطل : الضخم والفاحش الطول ، وهو ترجمة geant .

النص فى كتابى (من حاضر اللغة العربية) ص ١٥٤ نقلا عن مجلة المعهدالطبى العربى بدمشق .

جعل فى وضعة مائلة ، وشق الجلد شقًا لايختلف عن الشق العادى إلا بكونه أطول منه ، وذلك من مقتضيات الحالة الحاضرة . وبعد أن فتح الكيس الفتقى وفكت بعض الالتصاقات بدأتُ بإعادة المعى الدقيق إلى الجوف البطنى من وراء القولون . وقد اضطرت إلى قطع المنحرفة الصغيرة لكى أتمكن من إعادة الأعور والقولون اللذين كانا متوسعين وكثيفين لأن ردهما كان الزمن الأشد صعوبة من أزمنة العملية ، ولم أتعرض للذيل الدودى مع أنه كان كثيفًا بعض الكثافة أسوة بالأعور .

وبعد أن تم الرد ظهر الصَّفن كأنه جوف كبير قد فقد مرانته ، ولم يكن بُدٌّ من قطع قسم كبير منه ، وكان قطعه شاقًا متعبًا . وكان الكيس الفتقى ملتصقًا به أشد الالتصاق ، والخصية اليسرى الضامرة مدفونة فى جداره ، فلم أتعرض لتفريقه وإنما اكتفيت بتفريق جذره . وربطه وسد الفُوَّهة البطنية ، ثم قطعت القسم الكبير من الصفن ووجدت صعوبة كبيرة فى قطع النزف الذى كان غزيرًا .

أما الأيام التى تلت العملية فقد كانت شديدة ، لأن المريض أُصيب بعد (٤٨) ساعة بذات الرئة اليمنى ، ولأن الجرح تمزقت قطبه فابتعدت شفتاه إحداهما عن الأخرى ، ولأن جذمور الكيس الفتقى الذى كان قد ربط كفم الكيس أُصيب بالموات ؛ غير أن هذه الأعراض الموضعية تحسنت جميعها بعد إجراء حقن (سيانور الزئبق) . وكان يجب أن يحقن بها المريض قبل العملية لو كان انتُبه إلى الندبة القديمة التى كانت موجودة على ظهر قضيبه . ومهما يكن فقد شفى المريض شفاءً تامًا وعاد إلى مهنته بعد مرور شهرين . وقد رأيته ثانية منذ بضعة أيام فرأيت جدار قناته المغبنية متوسعًا بعض التوسع ، كما يبين الرسم الثانى ، غير أنه لايحتاج إلى عملية ثانية .

وبهذه المناسبة أُوجه أنظار الزملاء الكرام إلى توسع أوردة الصفن التى كان مصابًا بها هذا المريض ،والتى اضطرتنى إلى صرف وقت طويل أثناء العملية توصلًا إلى قطع النزف ، فقد روى لى زميل حادثة مريض كان مصابًا بفتق عَرْطَل ، فعالجه أحد الدجالين بالكىِّ السطحى ،

ويظهر أن الكيّ أصاب وريدًا فبزله ، وكانت النتيجة أن نُزف دم المريض فمات » .

مجلة المعهد الطبي العربي بدمشق ص ٥١٢ – ٥١٦ من جزء تشرين الثاني سنة ١٩٢٥ م) .

أما شبه المعجمات التي قام بها أعضاء المجمع من غير الأطباء « فبحوث[1] جزئية في اللغة قدموها للخاصة من المتعلمين ، يحتاج إليها ذوو الاختصاص الضيق ولا يستغني عنها غيرهم من المثقفين . سهر أصحابها ليالي طوالا يسردون المعجمات المختلفة مستخرجين منها ماتمس الضرورة حديثا إلى استعماله ، وقد أحيوا بعملهم هذا مئات من الكلمات كانت غريبة أو ميتة ، فسالت على ـ ألسنة المتعلمين ، وطردت مرادفاتها الأعجميات . وإليكم عمل أستاذين من الأعضاء :

الأول : الأمير مصطفى الشهابي ، رحمه الله ، فقد بدأ سنة ١٩٢٢ في نشر بحوث متسلسلة عنوانها (ألفاظ عربية لمعان زراعية) في تسع حلقات آخرها نشر سنة ١٩٣٠[2] . وللأمير جولات كثيرة في مثل هذا الميدان فنجد له بحثًا في (ألفاظ التصنيف في الفقاريات)[3] كما نجد نه سلسلة في (أسماء نباتات مشهورة[4])

ألفاظ عربية لمعان زراعية

وهذا مطلع أولى المقالات نشر آخر عام ١٩٢٥ في المجلد ٥/٥٥٨ :

« رغب إليّ بعض خريجي المدارس الزراعية أن أستخرج لهم من المعاجم العربية أو من كتب السلف الفنية ألفاظًا زراعية صحيحة يمكن الرجوع إليها ، إما في ترجمة ألفاظ أعجمية وإما في الدلالة على معانٍ لكلمات زراعية ، فنزلت عند رغبتهم واستخلصت إلى اليوم بضع مئات من كلمات لاتخرج في معناها عن أغراض الفنون الزراعية ، وعقدت النية مي

---

(١) من حاضر اللغة العربية ص ١٠٤

(٢) مجلة المجمع العلمي العربي ٥ /٥٥٨ / ١٠ / ٧٧٦

(٣) المصدر السابق ٢٠ / ٣٩٩ و ٤٨٨

(٤) المصدر السابق ١٨ / ٤٩٣

تمت على صوغها رسالة مرتبة على حروف المعجم :

إذا طال الزرع واستأْسد من فرط العناصر الغذائية فى التراب لاسيما (النتروجين) منها يقول فلاحو بلادنا إنه (هاف) ويقول الفرنسيون (il aversé) ، واستعمل المصريون كلمة (ترقيد) لمصدر هذا الفعل ... والصحيح هو أن نستعمل كلمة (قصف الزرع قصفاً) ، إذا جاء فى كتب اللغة أن معناه (طال حتى انثنى من طوله) . ودواء الزرع الذى يستأْسد أى يطول على هذا الشكل : قطع رؤوسه ، وهو بالفرنسية (Essimage) وبالعربية : شرنف الزرعَ وشرْيَفه ؛ أى قطع شرنافه وهو ورقة إذا طال وصار مُضِرًّا به .

ويطلق بساتنة الغوطتين كلمة (عدان) على حظ بُقولهم أو أشجارهم من الشرب ، وهو بالعربية (السِّقْى ، والقِلْد) يقال : (كم سِقْى أرضك ؟ وهل استوفت أرضك قِلدها من الماء ؟) ، و (القَلْد) مصدر (تقالدوا الماء) أى تناوبوه ، يقال : (كم قَلْد شجركم ؟) فيقال : (يشرب فى كل عشرٍ مرة) .

وآخر فقرة فى المقالة التاسعة المنشورة فى المجلد ١٠ /٧٦٦ الصادر فى كانون الأول سنة ١٩٣٠ :

« وفى شمالىّ الشام صنف من الضأْن يسمونه (العوسى والعواسى) وهو أكثر الأصناف انتشاراً ويظهر أنه قديم ، فقد ورد فى الأُمهات أن (العوس) ضرب من الغنم وأنها الكباش البيض ، وأن الكبش العوسى منسوب إليها .

وأشهر عروق الضأْن فى العالم الصنف المسمى (mérinos) وشهرته منبعثة من جودة صوفه وغزارته ، وهو يغطى حتى جبين النعجة وخديها ويبلغ رأس منخرها أحيانا . والصوفة مرنة جداً وربما دقت فلم يزد ثخنها على $\frac{١٥-١٠}{٠٠}$ من المليمتر .

والذى يهمنا ذكره ، مما يكاد يكون مجهولاً لا يعرفه إلا نفر قليلون من علماء الدواجن ، أن هذا العرق من الضأْن

---

(١) النص فى ص ١١٨ من حاضر اللغة العربية

ينسب إلى بنى مرين المغارية المشهورين . ذلك أنه عرق المغرب الأَصلى ، جَّوده العرب بعد نقله إلى الأَندلس منذ سطعت أَنوار مدنيتهم فيها ، واستعملوا صوفه فى صناعة المنسوجات الصوفية الدقيقة التى استفاضت شهرتها فى أنحاء أُوربة وإفريقيا والشرق العربى ، ثم احتفظ به الإسبانيون بعد العرب فسموه (مرينوس) نسبة إلى بنى مرين . وهو اليوم أكثر عروق الضأْن انتشاراً ، ولا تكاد دولة من الدول المهمة تخلو منه ، وهو يُعَدُّ بالملايين فى كل منها . ومن صوفه تصنع نسج الجوخ الدقيقة الحوك » .

ولا يكاد يخلو مجلد من مجلدات مجلة المجمع من تتبعاته وتحقيقاته عل مدى سنين طويلة ، ، أرفد فيها اللغة الزراعية بثمرات جدد حتى استوى له فيما بعد معجمه الثمين (معجم الألفاظ الزراعية بالعربية والفرنسية) ، فأَسدى إلى أُمته وإلى علوم الزراعة أَجلَّ الخدمات . ولو كان لنا فى كل ميدان من ميادين العلوم والفنون والصناعات مثل الأَمير لكان بناءُ نهضتنا اللغوية العلمية يناطح السحاب منذ أَمد طويل .

والأُستاذ الثانى : محمد سليم الجندى رحمه الله ، فقد جمع كل مايخص الكرمة من مصطلحات منذ تكون بذرة إلى تساقط أَوراقها ، ومايخصها من عناية زراعية ، وما يعتريها من أَحوال وأَزمان ، مع ذكر أَسماء مواضعها . . . إلخ ، ونشر ماجمعه من دواوين اللغة وكتب التراث متسلسلاً فى مجلة المجمع بعنوان (رسالة الكرم)[1] فما يخطر بالبال مسمى لبعض ذلك إلا كان مشروحًا فى بابه .

رسالة الكرم

وقد مهَّد الأُستاذ سليم الجنا ؛ ارسالته بسبب تأْليفها وخطته فى جمعها قال :

« سأَلنى بعض الأُدباء فى دمشق عما يرادف كلمة (يبرق)[1] التركية ،

---

(١) ٩ / ٢٨٠ / ١٠ / ٧٦٢

(١) من أطعمة الشام والأناضول ، وهو ورق العنب يلف على حشو من الأرز واللحم المفروم الرقيق .

من العربى الفصيح ، وكنت لا أعرف لها مرادفا ، فرغبت إليه أن يمهلى فى الجواب . . ثم طفقت أتصفح كتاب القاموس المحيط للفيروز بادى حتى ظفرت بضالتى التى أنشدها وأعلمت السائل بها .

وقد عثرت خلال البحث عنها على كلمات فصيحة تتعلق بالكرم يتداول الناس غيرها من عامىّ ودخيل ، فارتاحت نفسى إلى متابعة البحث والاستقراء وتدوين ما يقع إلىّ فى هذا النوع فى رسالة مستقلة تقرب على الباحث كل قصّى وتذلل كل أبىّ . . فاطلعت على نسخة من (البلغة فى شذور اللغة) [وفيها كتاب النخل والكرم المنسوب للأصمعى] فألفيتها غزيرة المادة لكنها مشتتة المباحث خالية من الترتيب الذى يقرب الوقوف على مسائلها . . فعارضتها بما جمعته واضطفيت منها مالم أعثر عليه من قبل ، ثم استصفيتُ ما فى المخصص لابن سيده ، وأضفت ذلك كله إلى الرسالة حتى اشتملت على كثير من المباحث الطريفة والأسماء النادرة ، وأفردت لكل نوع من أجزاء الكرم مبحثاً مستقلاً أثبت فيه ما وقع لى من الأقسام والأسماء والأوصاف التى تتعلق به وتلائمه . . إلخ[1] .

موضع الكرم

الفِردوس : الموضع تكون فيه الكروم ، مذكر وقد يؤنث ، قال فى اللسان : (العرب تسمى الموضع الذى فيه الكرم فردوساً ، وأهل الشام يقولون للكروم والبساتين : الفراديس . ويقال : كرم مفردس أى معرش .

الجنة : الحديقة ذات الشجر والنخل . . قال أبو علىّ فى التذكرة : (لاتكون الجنة فى كلام العرب إلا وفيها نخل وعنب ؛ فإن لم يكن فيها ذلك وكانت ذات شجر فحديقة وليست بجنة . . إلخ .

مجلة المجمع ١٠ /٤٦٦

الوشيع والحظيرة

الوشيع : حظيرة الشجر حول الكرم والبستان ، الجمع وشائع . . يقال : وشّعوا على كرمهم توشيعاً : حظروا عليها بالشجر ، ووشع كرمه : جعل له وشيعاً وهو أن يبنى جداره بقصب أوسعف يشبك الجدار به وهو التوشيع ...

---

(١) من حاضر اللغة العربية ص ٢٠

الحفر والركايا

الشَّربة بالتحريك : كالحُويض يحفر حول الشجرة ويملأُ ماء ... فتتروى منه ... وشرَّب الأَرض والنخل جعل له شربات .

الفُقُر : ركايا محفورة بعضها إلى جنب بعض ، وينفذ بعضها إلى بعض وأحدها فقير إلخ . مجلة المجمع ١٠ /٤٦٨ وله أيضاً (رسالة الطُّرق) [٢] جمع فيها الأَلفاظ المتعلقة بالطُّرق وأنواعها وتمهيدها وأحوالها ، فأحيا عشرات الأَلفاظ المحتاج إليها اليوم ، ورتبها على حروف المعجم فجاءت معجماً وافيًا فيما يتعلق بالطرق .

ويُلحق بعمل هذين الأُستاذين ماصنعه الأَستاذ عزّ الدين التنوخىّ رحمه الله بناءً على طلب طلب قدم إليه ، حين حصر كل أَجزاء الآلة الكاتبة ؛ فصوَّرها ورقَّم أَجزاءها ودرس عملها ، ثم وضع لها المصطلحات المقابلة لمصطلحاتها الفرنسية الرائجة ، ونشرها فى المجلة ، ثم طبعت فى كراسة تخاطفها طلاب مدرسة التجارة ومعلمو الآلة الكاتبة والضاربون عليها . وفعل مثل ذلك بالدراجة (البسكليت) [١]

وراجت أَكثر هذه المصطلحات ، وخطته فى ذلك سليمة المنهج .

وحسبنا أَعمال الشهابى والجندى والتنوخى نماذج جيدة لما صدر عن المجمع فى هذا الباب .

* * *

أما بعد ، فهذه جهود المجمع الأَول ، المباركة البناءة فى ، عمره الذى لم يجاوز خمس عشرة سنة ، وهذا ما قدمه أَفاضلة لأُمتهم . ولقد مضى على إلغائه ٤٤ سنة خطًا الزمان فيهن خُطًا فساحًا ، ومضى الأَمام بالعربية قدمًا إلى فما صنعه من بعده الحاذقون من أَساتذة الطب والعلوم فى الشام — وهم كثر — أَدقّ وأَغزر ، والزمن بنا ماضٍ لايتوقف : كثر عندنا المختصون فى علوم وفنون ، ولم يعد أَكثرهم بحاجة إلى استنجاد بمن يضع له مصطلحًا أَو ينظر له فى أُسلوب إنشائه ، إلا استشارات بين الحين والحين لمن عرف بالقوة والذوق وسعة الأُفق فى العربية خاصة والثقافة عامة ، يعرض عليه عمله ليفيد من نظره وملاحظاته والأَساتذة من المختصين ماضون فى سدّ

---

(١) ١٣ / ٣٦٣

(٢) ١٨ / ٤١١ — ٢٠ / ٣٣١

حاجة طلابهم من التأليف ووضع المصطلحات التى تستعمل وتعيش من ساعة طرحها ، فيتلقفها الطلاب ، متابعين مع مدرسيهم سير العلم .

فإن سألم : ما الذى أسعفهم بحاجاتهم أجبتُكم بما أعرف عن بعضهم : إنهم حازوا ثلاث خصال :

١ ـ قوةً وتمكنًا فى اختصاصهم ومتابعةً له وشغفاً به حتى العشق .

٢ ـ إدامة النظر فى مؤلفات الأسلاف فى فنونهم نفسها ، فجنوا ربحاً مزدوجًا : عثورهم غالبًا على مصطلحات موائمة لما يبتغون ، واطلاعهم على صفحات من تاريخ العلم الذى اختصوا به.

٣ ـ أُنسهم الشديد بصحبة المعجمات التى حفظت لنا عبقرية لغتنا وأُمتنا ، يستنطقونها بصبر وأناة ومنهجية .

وقلَّ فيهم من لم يسرد القاموس المحيط بأجزائه الأربعة من الغلاف إلى الغلاف ، بل منهم من طالع مخصص ابن سيده بأناة ومصابرة للزمن مهما يطل ، يجدون فى ذلك لذتهم . إن ظفرهم من المعجمات بما يبتغون أنساهم تعبهم وسهرهم فى الغوص والبحث ،وجنوا إلى جانب ذلك من الفرائد والفوائد مالم يكونوا يحتسبون ، حتى لكأن (أناتول فرنس) إياهم وصف فى مقال له عن معجمات اللغة ، وبلسان حالهم قال :

«إنى أُحب معجمات اللغة ، فأنا لا أُحبها لمجرد فائدتها العظيمة ، ولكنى أُحبها لأنها تحتوى على شىء فخم ، انظر إلى معجم (غازيه) أو إلى غيره من المعجمات ، وتصور أنك ترى روح وطننا كله فى هذا المعجم ، ليتصور ذهنك أن فى هذه الصفحات التى يبلغ عددها ألف صفحة أو (١٢٠٠) صفحة : عبقرية فرنسا وطبيعتها . ليتصور ذهنك أن فيها أفكارَنا وأفكار أجدادنا ، وأفراحَنا وأفراحهم وأعمالنَا وأعمالهم ، وآلامنا وآلامهم . ليخطر ببالك أن

فى هذا المعجم آثار الحياة العامة ، وآثار الدور والمنازل ، آثار الذين استنشقوا الهواءَ الصالح ، وشموا النسيم العليل الذى نشمه اليوم . ليخطر ببالك أن كل كلمة من كلمات المعجم يقابلها فكر من الأَفكار ؛ كان فكر طائفة من البشر لا يُعلم عددهم ، وكأَّ عاطفة من العواطف كانت عاطفة جمهور من الناس لا يحصى مقدارهم . ليهجس فى صدرك أن كل هذه الكلمات المجموعة إنما هى لحم الوطن والبشر ، ودمهما ، وروحهما » .

أجَلْ . هذا هو الطريق .

سعيد الأفغانى
عضو المجمع المراسل من سورية

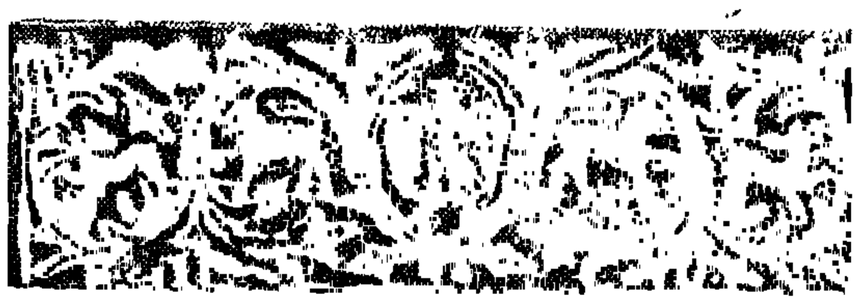

(١) من محاضرة (فى الأدب) ألقاها علينا الاستاذ شفيق جبرى فى كلية الآداب قبل خمسين سنة ونشرها المجمع العلمى فى مجلة ١٠ / ٣٧١

تحقيق لسان العرب

— ٩ —

لأستاذ عبد السلام هارون

٩٦١ — (وأل) ٢٤٥ س ٢ وبيروت ٧١٩ ، قول الشاعر :

ماح البلادَ لنا فى أوّليّتنا
على حَسُود الأعادى مائحٌ قُثَمُ

وكذلك وردت « حَسُود » خطأً فى مادة (قثم) ، والصواب « حُسود » بضم الحاء كما فى المخطوطة . والحُسود : مصدر كالحسد ، يقال حسَدَه الشيءَ وعليه يحسِده ويحسُده حسدًا وحُسودًا وحَسَادة ، كما فى القاموس . وفى اللسان : حَسَده يحسِده بالكسر حَسَدًا ، ويحسُده بالضم حُسودا .

وعلى هذا فهو بضم الحاء لاغير .

٩٦٢ — (وأل) ٢٤٥ س ٢١ وبُيروت ٧١٩ : « قال خالد بن قيس بن منقذ بن طريف بن مالك بن بحره » . وردت الكلمة الأخيرة مهملة النقط هكذا وصوابها « بُجْرة » كما هو واضح فى اللسان (شرط ١٩ ومجالس ثعلب ٤٥٠ وقد رسمت فى المخطوطة « بُحرة » بضمة فوق الباء وسكون فوق الحاء ، وصوابها الجيم .

٩٦٣ — (وكل) ٢٦٣ س ١ وبيروت ٧٣٥ قوله : « والوكيل : الجرىءُ . وقد يكون الوكيل للجَمْع » . وفى المخطوطة : « الجرى » مع وضع مدة فوق الراء . وصوابهما « الجرىّ » بالياء المشددة ، من جرى لا من جرأ . وفى اللسان (جرى — ١٥٤) : « والجرىُّ : الوكيل ، الواحد والجمع والمؤنث فى ذلك سواء » . وفيه أيضاً : « ابن السكيت : إنى جرّيت جريًّا ، واستجريت ، أى وكّلت وكيلا » .

٩٦٤ — (أدم) ٢٧٤ س ١٠ قول الشاعر :

إذا ما الخبزُ تأْدِمه بلَحْمٍ
فذاك أمانةِ الله الثريدُ

وفى نسخة بيروت (١٢ : ٩) لم تضبط كلمة « أمانة » . وضبطت فى المخطوطة بالنصب ، وهو الصواب كما فى سيبويه ١ : ٢٣٤ / ٢ : ١٤٤ بولاق — و ٣ : ٦١ ، ٢٩٨ من نسختى . وهوشاهد على حذف حرف القسم قبل « أمانة » التى نصبت على نزع الخافض ، وهو حرف القسم .

٩٦٥ — (أرم) ٢٨٠ س ٢٥ والمخطوطة قول مرقش الأكبر :

فاذهب فدًى لك ابن عمِّك لاتحـ

ـ ـ ـ إلا شبيبـــة وإرَمْ

وجعلت فى بيروت ص ١٥ « ابن عمك لائحا » . وصواب النص وإكماله من المفضليات ٢٣٨ :

فاذهب فـدًى لك ابن عمِّك لا

يخلـد إلا شـابَـةٌ وأدمْ

وشابةٌ وأدَم : جبلان من جبالهم .

٩٦٦ — (أمم) ٢٨٨ س ١٦ وبيروت ٢٣ والمخطوطة قول عامر بن مالك ملاعب الأسِنَّة :

يمَّمتُه الرُّمحَ صَدْرًا ثم قلتُ له

هـذى المُرُوَّةُ لا لِعْبُ الزحاليق

والرواية المشهورة الجيدة « شَزْرًا » لا « صدرًا » ، كما فى اللسان (زحلق) والمقاييس ٦ : ١٥٢ . وقد وردت رواية « صدرا » فى اللسان (أمم ، يمم) ، والصحاح (يمم) . يقال يمَّمه برمحه تيميماً : توخَّاه وقصَدَه دون مَن سواه . وجاء فى المقاييس تعليقاً على البيت : «قال الخليل : ومن قال فى هذا البيت أَمَّمته فقد أخطأ ؛ لأنه قال شزرًا ، ولا يكون الشزر إلا من ناحية ، وهو لم يقصد به أمامه فيقول أَمَّمته » .

٩٦٧ — (أمم) ٢٨٩ س ١٠ وبيروت ٢٤ والمخطوطة ، قول الأعشى :

ولقد جررتَ لك الغـنى ذا فاقة

وأصاب غـزوكَ إمَّـةً فأزالهـا

وصوابه « ولقد جررت إلى الغنى » ، كما فى الديوان ٢٧ . يمدح الأعشى بهذا عمرو ابن معد يكرب ، وينعته بأنه يُثرى الفقير كما يستطيع أن يسلب ذا النعمة من أعدائه نعمته ، لشدة بأسه .

٩٦٨ ـ (أُمم) ٢٩٣ س ٢٢ وبيروت ٢٨ قول الطرماح :

مثـل ما كافحت محـزوبـة
نصَّهـا ذاعـر ورعٍ مُـوأَمْ

وجاءَ فى المخطوطة : « مخروبة » ، وكلاهما محرف ، والصواب « مخروفة » كما فى الديوان ٩٧ ومجالس ثعلب ٣٥٦ واللسان (خرف ٤٠٩) . والمخروفة هى الظبية التى رعت العشب الذى ينبت فى الخريف . نصَّها : رفَعها ونصَبها ، أَى رفع رأْسها . وقبل البيت :

نظـرةً مـا أَنتِ من نظـرة
أُوغِلتْ من بيـن سِجْفَىْ قِرامْ

شبَّه نظرتها بنظرة هذه الظبية . قال أَبو نصر : أَحسن ما تكون الظبية إذا مدَّت عنقها من روع يسير . والصواب أَيضاً « ذاعرُ رَوْعٍ » ، كما فى المخطوطة والديوان ومجالس ثعلب واللسان (خرف) .

٩٦٩ ـ (أُمم) ٣٠١ س ٢١ وبيروت ٣٦ قول الراجز :

يادهن أَم مـا كان مشيي رقَصا
بـل قـد تكون مشيتى توقُّصا

وجاءَ بعده فى التعليق : « أَراد ماكان مشيي رقصا . أَى كنت أَتوقص وأَنا فى شبيبتى ، واليوم قد أَسننت حتى صار مشيي رقَصا . والتوقص : مقاربة الخطو » . والصواب : « كنت أَترقص فى شبيبتى » بالراءِ ، كما فى المخطوطة وخزانة الأَدب ٤ : ٤٢١ نقلاً عن اللسان .

وأَمّا « حتى صار مشيي رقصا » فكذا وردت فى جميع نسخ اللسان والمخطوطة أَيضاً . والصواب : « حتى صارت مشيتى توقصا » .

٩٧٠ ـ (تمم) ٣٣٧ : ٢١ وبيروت ٧١ قول النابغة :

إِنى أَتمم أَيسـارى وأَمنحهم
مثنى الأَيادى، وأَكسو الجفنة الأَدما

وموضع الخطإِ فى ضبط همزة « إِنى » ، والصواب فتحها ، فإِن هذا البيت مرتبط بما قبله، وهو كما فى ديوان النابغة ١٠٧ :

يُنْبيكِ ذو عِرضِهم عنّى وعالمُهم
وليس جاهلُ أَمر مثل من علما

٩٧١ ـ (ثمم) ٣٤٧ س ١٦ وبيروت ٨٠ والمخطوطة قوله : « وثمَّم الكثيرُ لغة فى ثَمَّم » . وصوابه : « وتمَّم الكَسْرَ لغة فى تَمَّم » .

وجاء فى مادة تمم ص ٣٣٦ : « وتمَّم الكَسْرَ فتمَّم وتمَّم : انصدع ولم يبِنْ ».

٩٧٢ ـ (جزم) ٣٦٥ س ٨ وبيروت ٩٨ والمخطوطة قول صخر الغى :

فلما جزمت بها قربتى
تيمَّمت أَطرقةً أَوخليفا

والصواب : « به قربتى » كما سبق فى التحقيق رقم ٧٢٩ . وقبل البيت :

وماءٌ وردت على زورة
كمشى السبنتَى يَراح الشفيفا

٩٧٣ ـ (جمم) ٣٧٦ س ٥ وبيروت ١٠٩ والمخطوطة أَيضاً : « وقال عدى ابن الغدير » ، وإنما هو « على بن الغدير » كما فى شرح القصائد السبع ٥٦٩ . ونجد ترجمته فى المؤتلف ١٦٤ والجمهرة ٢٤٧ والاشتقاق ٢٧٠ ومعجم المرزبانى ٢٨٠ . وله حديث مع عبد الملك بن مروان . وبيت على بن الغدير . أَنشده ابن الأَنبارى ، كما أَنشده المرزبانى فى معجمه .

الجزء الخامس عشر
من طبعة بولاق

٩٧٤ ـ (حذم) ٨ س ١٩ وبيروت ١٢ : ١١٩ قول الشاعر :

* بصيرٌ بما أَعطى النطاسىُّ حِذْيَمَا *

والبيت لأَوس بن حجر فى ديوانه ١١١ واللسان (ألا ٣٢٠) ، وهو بتمامه على وجه الصحة :

فهل لكمُ فيها إلىَّ فإننى
طبيبٌ بما أَعيا النِّطاسىَّ حذيمَا

وحذيم : رجل من تيم الرِّباب ، وكان متطبباً عالما .

٩٧٥ ـ (حرم) ١٥ س ١٢ وبيروت ١٢٦ قوله : « والحِرْمة فى الشاءِ كالضَّبْعة فى النُّوق والحِناءِ فى النعاج ، وهو شهوة البضاع » . والذى فى المخطوطة : « والحَرَمة » بالتحريك . وهما لغتان كما فى القاموس . والأَولى أَن يتبع ضبط المخطوطة . وكذلك « الضبعة » هى بفتح الباء كما فى المخطوطة ، وكما فى اللسان والقاموس (ضبع) . وهى بفتح الباء ، أَى بالتحريك لا غير . وفِعله ضَبِعَتْ تضبَع .

٩٧٦ ـ (حلم) ٣٦ س ١٧–١٨ وبيروت ١٤٧ والمخطوطة أيضاً قوله : « والحلم ، بالتحريك : أن يفسد الإهاب فى العمل ويقع فيه دود فيتثقب » ، صوابه « فى الغَمْل » كما فى الصحاح (حلم). والغَمْل : أن يلفَّ الإهاب بعد ما يسلخ ثم يُغَمّ يوماً وليلة حتى يسترخىَ شعره أو صوفه ثم يُمْرَط. فإن ترك أكثر من يوم وليلة فسد.

٩٧٧ ـ (حمم) ٤١ س ٢٥ قول لبيد :

لتذودهنَّ وأيقنت إن لم تَـزُد
أن قد أحمَّ من الحتوفِ حِمامُها

وقد وردت على الصواب : « إن لم تذُد » بالذال فى بيروت ١٥٢ والمخطوطة.

٩٧٨ ـ (حمم) ٥٦ س ١ وبيروت ١٦٠ قوله « والحمامة المرأة » ، صوابه « المِرآة » فى هذا الموضع ، كما فى المخطوطة والتهذيب ٤ : ١٦ وأنشد الأزهرى للمؤرج :

* كأنَّ عينيه حمامتان *

أى مِرآتان فى التماعهما . وبدليل ما أنشده من قول الشماخ فى هذا الموضع أيضاً :

تُـدنى الحمامةَ منها وهى لاهِيةٌ
من يانع الكَرْم غِربانَ العناقيدِ

وصواب هذا أيضاً « تُدنى الحمامةُ » بالرفع ، كما فى ديوان الشماخ ٢١. وقد غنى بغربان العناقيد ضفائرها السُّود . أى تريها المرآة جمالَ شعرها الفاحم .

وتأتى الحمامة أيضاً فى غير هذا الموضع بمعنى المَرأة ، أو المرأة الجميلة ، كما فى اللسان والقاموس .

٩٧٩ ـ (خثم) ٥٦ س ١ وبيروت ١٦٥ قول الأعشى :

كأنِّى ورحلى والقُنانَ ونُمرقى
على ظهر طاوٍ أسفع الخدأختما

وورد فى المخطوطة « والقنان » أيضاً لكن بدون ضبط . وصوابها : « والفتان » بالفاء المكسورة بعدها تاءٌ مثناة فوقية ، كما فى ديوان الأعشى ٢٠١ .

والفتان : غشاءٌ يكون للرحل من أدم . وأنشد فى اللسان (فتن ٩٨) قول لبيد :

فثنيت كفِّى والفِتانونُمرقى
ومكانُهنَّ الكُـور والنِّسعانِ

٩٨٠ ـ (خثرم) ٥٦ س ٩ وبيروت ١٦٦ قول خثيم بن عدى :

ولكنَّه يَمضى على ذاك مُقْـدِماً
إذا صد عن تلك الهَنَاة الخثارم

والصواب كما فى المخطوطة « الهَنَات » بالتاء المبسوطة لا المربوطة ، فإنها جمع للهَنَة مؤنث الهن ، كناية عن الأمر الفاحش المستقبح ، وما يستصغر من الأمور ، فهى مما يُلحق بجمع المؤنث السالم . وجمع المؤنث السالم تكتب تاؤه مبسوطة ، وإنما تربط التاءُ فى جمع التكسير من نحو قُضاة وغزاة ورماة ، إذ يوقف عليه بالهاء ولا كذلك جمع المؤنث السالم .

وجاء فى الحديث : « ستكون هَنَاتٌ وهَنَاتٌ ، فمن رأيتموه يمشى إلى أُمة محمد ليفرِّق جماعتهم فاقتلوه » ، أى شرور وفساد . وجاء على هذا الصواب فى الحيوان ٣ : ٤٣٧ والصحاح ومقاييس اللغة ٢ : ٢٥ والمخصص ١٣ : ٢٥ والاقتضاب لابن السيد ٣٥٤ .

كما أن صواب الرواية فى البيت السابق لهذا : « وليس مهياب » بدل « ولستُ مهياب » ، لأنه مدح بهذا الشعر مسعود ابن بحر الزُّهرىّ ، فهو يتحدث عنه ولا يفخر بنفسه . لكن هكذا يجب أن يبقى النص مع خطئه : « ولست بهياب » . وقد ورد هذا الخطأُ أيضاً فى رواية ابن فارس فى المقاييس ، ولم أُبدِّله فيه .

٩٨١ ـ (خذم) ٥٩ س ١٦ وبيروت ١٦٩ والمخطوطة أيضاً : « قال الكلحبة :

كأنَّ سيحَىْ ورقٍ عليهـا
نمتْ قـرطيهما أُذنٌ خـذومُ

ولا بأس بالنص فهو صحيح ، ولكنَّ نسبة الشعر إلى الكلحبة خطأٌ يجب أن يبقى . والصواب أنَّ البيت لسلمة بن الخُرشُب فى المفضليات ٤٠ .

وقد ورد منسوباً على الصواب فى اللسان (مسح ٤٣٤) .

٩٨٢ ـ (خشم) ٦٩ س ١١ وبيروت ١٧٩ والمخطوطة كذلك ، قول الأشى :

* إذا كان هِيزَمْـرٌ ورحتُ مُخَشَّما *

وليس هناك معنى للهيزمر ، ولاوجود لمثل هذا الوزن فى لغة العرب . والكلمة فارسية الأصل . والأعشى كثيراً مايدير فى شعره ألفاظاً أعجمية الأصل . وأقرب

تصحيح لهذه الكلمة هو « هِنْزَمْـرٌ » .
وفى ديوان الأعشى ٢٠١ : « هِنْزَمْنٌ » .
وفى اللسان فى مادة (هنزمن) : « الهِنْزَمْرُ ، والهِنْزَمْنُ ، والهِيزَمْنُ ، كلُّها عيدٌ من أعياد النصارى أو سائرِ العجم . وهى أعجميّة » ، ثم أنشد قول الأعشى :

* إذا كان هِنـزمنٌ ورُحتُ مخشَّما *

ولفظه الفارسى : « أَنجُمَنْ » . انظر معجم استينجس ١٠٦ ، ١٥١٤ وأدّى شير ١٥٨ . وصدر البيت فى الديوان :

* وآسٍ وخِيـرىٌ ومَـروٌ وسَوسَنٌ *

٩٨٣ ـ (خضم) ٧٤ ، ٨٣ وبيروت ١٨٤ والمخطوطة أيضاً ، قول العجاج :

* خُضمَّة الذِّراع هذا المُخْتَلا *

والصواب : « هذَّ المخْتلِي » كما فى الديوان وشرح المرزوقى للحماسة ٥٣٩ .

والشطر من أرجوزة للعجاج فى ديوانه ٥٠ ـ ٥٤ ليبسك و ١٩١ ـ ٢١٧ بيروت تحقيق عزة حسن . وهى طويلة بلغت ١٦٨ شطرًا . وهذا الشطر هو ذو الرقم ٩٧ . وقبله :

* يُذرِى بإرعاشِ يمينِ المـؤتلى *

والهذّ : القطع . والمختلى : الذى يجزّ الخلا ويقطعه . والخَلا ، هو الحشيش ، الواحدة خَلاة .

٩٨٤ ـ (خلم) ٨٠ س ١ وبيـروت ١٨٩ وكذا المخطوطة : قول الكميت :

إذا ابتسرَ الحـرب أخـلامُها
كِشافـاً وهُيِّجت الأفحُـلُ

صوابه « وهُيِّخت » بالخاء كما فى اللسان (هيـخ) والتهـذيب ٦ : ٣٤٤ والمعانى الكبير ٩٦٥ وديـوان الكميت ٢ : ٢٣

وهُيِّخ الفحلُ : أُنيخ ليبرك على الناقة فيضربَها . والمقصود إثارة الفرسان للحرب والمعركة .

٩٨٥ ـ (درهم) ٩٠ س ٥ وبيروت ١٩٩ والمخطوطة أيضاً قول ابن مقبل :

وقِدر ككفِّ القِـردِ لامستعيرُها
يُعـار ولامن يأتِهـا يتـدسَّمُ

وصوابها « يتدسَّمِ » بكسر الميم لأنها واقعة فى جواب الشرط « يأتِهـا » . وقـد أتى سيبويه بهذا البيت شاهـدا على ان « لا » الثانية لغو لاتغيّر مجرى الإعراب فيبقى كما هو . انظر سيبويه ١ : ٤٢١ و ٣ : ٧٧ من نسخنى ، وخصائص ابن

جنى ٣ : ١٦٥ ومجالس العلماء للزجاجي ١١٢ وديوان ابن مقبل ٣٩٥ .

٩٨٦ ـ (ديم) ١٠٩ س ١٤ وبيروت ٢١٩ قول لبيد :

باتت وأسبل والف من ديمـة
تروى الخمائل دائماً تَسجامُها

والصواب « واكف » بالكاف ، كما فى المخطوطة ونصوص المعلقات . والواكف : القطر .

كما أن الصواب أيضاً : « يُروى الخمائل » بالياء لا بالتاء . والتَّسجام : مصدر سجَّمت السحابةُ مطرَها تسجيماً وتَسجاماً ، إذا صبَّته .

٩٨٧ ـ (ذمم) ١١٠ س ٢٤ وبيروت ٢٢٠ قول أُمية بن أَبى الصلت :

سلامَـك ربُّنـا فى كل فجـر
بـريئـاً ما تعنَّتْك الذُّمـومُ

والصواب « ماتغَنَّثُك » بالغين المعجمة والثاء المثلثة ، كما فى اللسان (غنث) ، أى ما تتغنَّثُك ، بحذف إحدى التاءين . يقال تغنَّثَه الشىءُ : لَزِقَ به . أى ماتلزق بك الذُّمومُ والعيوبُ ولا تنتسب إليك .

والبيت من شواهد سيبويه ١ : ١٦٤ والعينى ٣ : ١٨٣ .

٩٨٨ ـ (رتم) ١١٦ س ١٢ وبيروت ٢٢٥ قول الشاعر :

هل ينفعنْك اليوم إن همَّتْ بهم
كثرة ما توصى وتعقَادُ الرَّتمْ

وترك كلمة « بهم » مهملة الضبط يوقع فى لبس . ووجه ضبطها « بِهَمّ » كما فى إصلاح المنطق ٥٨ . يعنى هذه الزوجة إذا تركها فى السفر وهمّت برجل آخر وخانته ، فهمَّت به وهمّ بها ، فلا ينفعه ما صنع من الرتائم التى يعقدها ليختبر وفاءها له بعد فراقه .

٩٨٩ ـ (رغم) ١٣٨ س ١٤ وبيروت ٢٤٧ : « قال أبو عمرو : الرغام : رمل يَغشَى البَصَر ! » . وفى المخطوطة : « يعشى البصر » وصوابها « يغشَى البَصقة » كما فى مجالس ثعلب ٥٦٩ عن أبى عمرو . والبصقة كما قال أبو عمرو : حَرَّة ـ إلَّا أنّها مرتفعة . وانظر اللسان (بصق) .

٩٩٠ـ (رمم) ١٤٤ س ١١ وبيروت ٢٥٢ والمخطوطة ، قول لبيد :

والبيت إن تُعْرَ منىِّ رِمَّةٌ خَلقاً
بعد الممات فإنّى كنت أتئرُ

إنما هى « والنّيب » كما فى الديوان ٦٣ واللسان (ثأر) والمعانى لابن قتيبة ١٢٠٢ .

والنّيب : جمع ناب ، وهى الناقة المسنَّة .

و « تَعْرَ » صوابها « تَعْر » من عروت الرَّجُل : أتيت إليه . وقال ابن قتيبة : « أى إن تلمّ منى بعَظم بالٍ فتأكله بعد مماتى فإنّى كنت أنحرها . وأتئر : أفتعل من الثأْر . والإبل تأكل العظام ، أى تملّح بها بعد الخَلَّة » .

٩٩١ـ (زهدم) ١٧٠ س ٢٤ وبيروت ٢٨١ والمخطوطة : « زهدم : اسم فرس لسحيم بن وثيل . وفيه يقول ابنه جابر :

أقول لهم بالشعب إذ ييسرونني
ألم تعلموا أنى ابن فارس زهـدم

ونسبة الشعر إلى جابر بن سحيم إنما تصلح على هذا التفسير فقط . وقيل : إن « زهدم » رجل من بنى عبس ، فتصح إذن نسبة الشعر إلى سحيم مع رواية « ابن قاتل زهدم » . وانظر اللسان (يأس ، يسر ، زهدم) وحواشى المقاييس ٦ : ١٥٤

٩٩٢ـ (سجم) ١٧٢ س ٢٤ وبيروت ٢٨١ والمخطوطة قوله : « سجم العين والدمعُ الماءَ يسجم سُجوماً وسِجاماً ، إذا سال » . ووردت كلمة « الماء » بدون ضبط فى المخطوطة ومع سقوط واو العطف قبلها أيضاً ، وصوابها « والماءُ » بالرفع مسبوقة بواو العطف .

٩٩٣ـ (سحم) ١٧٤ س ٢ وبيروت ٢٨٢ والمخطوطة ، قول زهير :

نجاءُ مُجِدٌّ ليس فيه وَتيرةٌ
وتذبيبُها عنه بأَسْحَمَ مِذْوَدِ

والبيت من أبيات فى صفة بقرة شبَّه بها ناقته ، وهى فى ديوان زهير ٢٢٥ـ٢٣١ وقبله :

فأنقذها من غمرة المـوتِ أنَّها
رأت أنها إن تنظر النَّبلَ تُقصَدِ

أى لأنها رأت . ونجاءٌ : فاعل أنقذها . فالصواب : « وتذبيبُها عنها » ، أى ودفاعها عن نفسها بالأسحم المِذود ، أى الاسود الذى تستعمله فى الذود ، وهو قرنها . وانظر ديوان زهير ٢٢٩ ومقاييس اللغة ٣ : ١٤١ .

٩٩٤ ـ (سدم) ١٧٦ : ١٥ وبيروت ٢٨٤ والمخطوطة : « وماءَ سَدَمٌ وسُدُمٌ وسُدُوم : مندفق » بالقاف . وكذلك فى القاموس « مندفق » ، والصواب إن شاءَ الله « مندفن » بالنون ، كما يقتضيه التفسير الآخر فى كل من اللسان والصحاح « وركية سُدْم وسُدُم ، مثل عُسْر وعُسُر ، إذا ادَّفنت » . ومافى القاموس كذلك : « وركية سُدْم بالضم وبضمتين : مندفنة » ومافى التهذيب ١٢ : ٣٧٤ : « حتى يكاد يندفن » .

٩٩٥ ـ (سدم) ١٧٧ س ١٠ وبيروت ٢٨٥ والمخطوطة ، قول عمرو بن درّاك العبدىّ :

وإنى إن قطعتُ حبالَ قيس
وخالفتُ الْمُـرون على تميم

وفى البيت خطآن . أما الأول ففى « خالفت » ، فإن صوابها « حالفت » بالحاء المهملة كما فى الحيوان ٦ : ١٧٥ ومعجم المرزبانى ٢١٧ .

وأما الثانى ففى « المُرون » ، فإن صوابها « المَزون » بميم مفتوحة بعدها زاى مضمومة . وهو اسم من أسماءِ عُمـان بالفارسية ، أو قرية من قرى عمان ، كان يسكنها اليهود والملاحون ، ليس بهـا غيرهم . قال الكميت :

فأمَّـا الأَزد أَزد أَبى سعيد
فاكرهُ أَن أُسمِّيها المَزُونا

وأبو سعيد هو المهلَّب بن أَبى صُفرة ، وكان يكره أَن ينسب إلى المَزون كما أَنَّ أَزد عمان كانوا يكرهون ذلك .

٩٩٦ ـ (سوم) ٢٠٥ س ٢٥ وبيروت ٣١٧ والمخطوطة : قال النابغة الذبيانى :

كأَنَّ فاها إذا تُوَسَّنُ من
طيب رُضابٍ وحُسن مَبتَسَمِ
رُكِّب فى السَّام والزَّبيب أَقا
حىٌّ كثيبٍ يندى من الرِّهم

والصواب أَنهما للنابغة الجعدى فى ديوانه ٥١ وشرح القصائد السبع ٤٧١ .

كما أَن الصواب « تُوَسَّنَ » ، والمراد قُبِّل بعد الوسَن . ويقال توسَّنَ فلانٌ فلاناً ، إذا أَتى إليه عند النوم .

٩٩٧ ـ (شذم) ٢١٣ س ١٢ وبيروت ٣٢٠ والمخطوطة ، قول الطرماح :

على حُـوَلاء يطفو السُّخْد فيها
فـراها الشيذُمـانُ عن الخبير

وإنما هى « عن الجنين » كما فى ديوان الطرماح ١٧٩ والمقاييس ٣ : ٧٥ وجمهرة ابن دريد ٢ : ١٩٣ /٣ : ٤١١

وقد ورد البيت على الصواب فى اللسان (حول ٢٠٣) . والبيت من قصيدة نونية مطلعها :

أمِن دمن بشاحتَـه الحَجـونِ
عفَت منها المعارفُ منـذُ حين

ويروى « الشيمُذان » بتقديم الميم ايضا . وهما بمعنى الذئب . وقبل البيت .

يظَلُّ غـرابُها ضَـرِماً شـذاه
شجٍ بخصومة الذئب اللَّعينِ

٩٩٨ ـ (ضخم) ٢٤٦ س ١١ وبيروت ٣٣٠ والمخطوطة أيضاً ، قول رؤبة :

* ضَخْم يحبُّ الخُلقَ الأَضخما *

والصواب « ضخماً » بالنصب ، لأن قبله ، كما فى ديوان رؤبة ١٨٣ :

* ثُمَّت جئتُ حيّـة أَصمَّـا *

وقد نبَّه على هذا الصواب ابن بَرّىٍّ ، كما فى المادة نفسها ص ٢٤٧ .

٩٩٩ ـ (ضخم) ٢٤٧ س ١٠ وبيروت ٣٣٠ والمخطوطة ، قول رؤبة :

* ثُمَّت حَيثُ حَيّـة أَصَمَّـا *

وصوابه « جِئتُ » ، كما فى التنبيه السابق .

١٠٠٠ ـ (طمم) ٢٦٤ س ٢١ وبيروت ٣٧١ والمخطوطة كذلك ، قول الأَفـوه الأَوْدىّ :

كالأَسود الحبشىِّ الحَمْسِ يتبعه
سودٌ طماطمُ فى آذانها النُّطَف

و « الحَمْس » ضبطت فى المخطوطة « الحُمْس » بضم الحاء ، وصوابهما جميعًا : « الحَمْش » بالشين المعجمة مع فتح أوّلهِ ، وهو الدقيق الخِلقة . وأصله من قولهم : هو حَمْش الساقين والذراعين ، أَىْ دقيقهما ، ثم استُعير ذلك الوصف للبدن كلّه ، كما فى اللسان . وتصحيح الكلمة من ديوان الأَفوه ص ٢١ فى الطرائف الأَدبية للميمنى .

عبد السلام محمد هارون
عضو المجمع

صيغة الفصحى المخففة

كما يراها الدكتور محمد كامل حسين

للأستاذ محمد شوقي أمين

يقول حكيم الحياة والأحياء « أبو الطيب » :

وإذا كانت النفوس كبارا
تعبت في مرادها الأجسام

ولقد كان فقيدنا الدكتور محمد كامل حسين كبير العقل ، كبير النفس ـ كبر عقله فاتسع لكثير من ألوان المعرفة في علم وأدب ولغة . وكبرت نفسه فهتفت بجوانب شتى من الإصلاح العلمي واللغوي في مجتمعه المشهود. ولكأنما عناه ذلك الحكيم في قوله :

أريد من زمني ذا أن يبلغني
ما ليس يبلغه من نفسه الزمن

كانت العربية أحد هذه الجوانب التي هفا إليها مفكراً ، وهتف بها باحثاً ، حتى أصبح فيها صاحب دعوة إلى تنظيم وتيسير .

وفيما نادى به حرية في الرأى ، وجرأة في الاستخلاص . وربما جاز لغيرى أن يصف ذلك منه بأنه ثورة عارمة على تأليف النحو ، وعلى تفقيه اللغة . وكثيراً ما تناول باحثون في قضايا العربية موضوعات اللغة والنحو ، فجهروا فيها بآراء ودعوات وثورات. ولكن بعضها صدر عمن كانوا يأبون أن يطبعوا اللغة على ألسنتهم ، لأنهم عجزوا أن يطبعوا ألسنتهم على اللغة ، إذ لم يتح لهم أن يكونوا قراء يتعلمون ، فأرادوا أن يكونوا كتاباً معلمين .

لا كهؤلاء كان الدكتور محمد كامل حسين ، فإن من يقرأ له ما كتب في العلم والأدب ، وما ناقش فيه من ضوابط اللغة وأحكامها ، يدرك على وجه اليقين أنه كان على بصر بالعربية تفقها ومدارسة ، وعلى بصيرة بأساليبها تذوقاً وممارسة ، فهو قد ألم بها علما دراسياً وسيعا ، وحذقها فناً بلاغياً رفيعاً .

٢ـ خاض الدكتور محمد كامل حسين غمار القول في التأليف النحوى العربى ، فهو يقول إن العربية الفصحى في أزمة ، وبعض العيب في ذلك يقع على أسلوب التعليم ، ولكن أكثره يرجع إلى طبيعة القواعد التي لم يعد يستسيغها المحدثون . وجمهور المتعلمين لا يرون أن يقضى الإنسان حياته عاكفاً على شيء لا يرى فيه فائدة له في ميادين الفكر والتعبير :

وظاهرة اللغة الطبيعية يجب أن يكون نظامها غير معقد ، والأصل فى القواعد الطبيعية أن تكون شاملة مرنة ، وأن تدل على فروق فى المعانى يريدها المتكلم ، والتعقيد يفقد القواعد فائدتها الأولى ، وهى هداية المتكلم إلى الصواب ، فتصبح قيوداً وأغلالا وعقبات يتعثر فيها المتكلمون .

ويوضح الدكتور محمد كامل حسين ما يتغياه بهذا القول ، فيؤكد أنه لا يدعو إلى تغيير فى مقاييس الصحة فى العربية الفصحى ، وإنما يستطيع وضع قواعد بسيطة يمكن أن يلم بها المتعلمون فى وقت قصير ، فيتجنبوا اللحن فى أكثر كلامهم ، وليس من المستحيل وضع قواعد جديدة تكفل صحة الكلام من غير طريق النحو القديم ، فتكون بديلا منه .

وكأنما خشى الدكتور محمد كامل حسين أن تنزلق الظنون إلى أنه يبتغى الخروج عن الفصحى إلى العامية ، فيقول ليس صحيحاً ما يظن أكثر الناس من أن الفرق بين الفصحى والعامية أن الفصحى معربة ، ولو كان هـــو الفرق لما حفل به إلا القليلون . والفرق الحقيقى بينهما أن العامية قليلة الألفاظ ، غير دقيقة التركيب ، ضعيفة الأساليب فى التعبير إلا عما هو عاطفى محض، وإلا عن الأفكار المألوفة لدى المتكلمين بها ، وذلك ضعيف فى باب التفكير .

ويلخص الدكتور محمد كامل حسين دعوته فى كلمات يجعلها كالعنوان فى ظهر كتابه « اللغة العربية المعاصرة » ، إذ يقول : أنا لا أريد أن أحرم حلالا ، ولا أن أحلل حراما ، ولا أن يغفل الناس الفصحى العالية . وإنما أدعو إلى الاعتراف بالفصحى المخففة ، مكتوبة أو مقروءة ، حتى لا يتهم الذين يستخدمونها بالجهل أو القصور .

٣ــ شدّما حمل الدكتور محمد كامل حسين على النحاة فى وضعهم للنحو ، وهو فى حملته عليهم يصدر عن محض الرغبة فى التيسير . ونحن لا ندعى للنحاة العصمة فيما قالوا ، ولا القدسية فيما صنعوا ، فلنا أن نخالفهم عما ذهبوا إليه ، ولنا أن نخالفهم إلى ما عدلوا عنه . بيد أننا لا نجحد جهودهم فى دقة الضبط وشمول النظر ، ولا ننكر فضلهم فى إعمال الاستقراء والتحليل ، والاجتهاد فى القياس والتعليل ، حتى جعلوا من النحو نموذجاً رائعاً لعبقرية العقل العربى فى البحث والتفكير .

بيد أننا لا نجادل مع ذلك فى صعوبة التحصيل لأحكام النحو وضوابطه ، فهى لا تنقاد إن انقادت إلا للمتخصص المتفرغ لهذا العلم بخصوصه ، ولا نجادل أيضا فى أن كثيراً من هذه الأحكام والضوابط لا تمس الحاجة إلى تفريعاتها وتعليلاتها فى مجال الاستخدام .

وقبل مئات من السنين تقارب العشر ، شعر بذلك أعلام الفكر العربى ، ونذكر من بينهم الإمام العلم « ابن حزم » القائل : لابد من مطالعة النحو ، ويكفى منه لطالب الحقائق ما يصل به إلى اختلاف المعانى بما يقف عليه من اختلاف الحركات والألفاظ وجوامع

الإعراب . ويقول أيضاً : أما التعمق فى علم النحو ففضول لا منفعة بها ، بل هى مشغلة عن الأوكد ، ومقطعة دون الأوجب . والغرض من هذا العلم هو المخاطبة وما بالمرء حاجة إليه فى القراءة ، ولا منفعة للتزيد على هذا إلا لمن أراد أن يجعله معاشا ، لأنه باب من العلم على كل حال :

ويؤيد ذلك علامة الأدب والنقد « ابن الأثير » فى قوله : إن واضع النحو جعل الوضع عاما ، فإذا نظرنا إلى أقسامه المدونة ، وجدنا أكثرها غير محتاج إليه فى إفهام المعانى :

ولكأن الدكتور محمد كامل حسين ، فى إيمانه بضرورة تيسير علم النحو وفقه اللغة لأهل العربية ، يردد صيحة الإمام « ابن حزم » فى قوله : إن الحظ لمن آثر العلم أن يقربه بقدر طاقته ، بل لو أمكن أن يهتف به على قوارع طرق المارة ، ويهب المال لطلابه ، لكان ذلك حظاً جزيلا ، وسعياً مشكوراً . . .

٤ — رسم الدكتور محمد كامل حسين هيكلا تنظيمياً مجملا للنحو وأحكامه ، فوضع قواعد عامة للإعراب فى الاسم والفعل ، وأصارح بأنى استشعرت يسراً كبيراً فى هذا التنظيم ، ولكنى أخشى أن أكون مخدوعاً فيما استشعرت . فربما كان مرجع ذلك إلى سبق ممارستى للقواعد النحوية ، فلم يكن هذا التنظيم بالنسبة لى إلا تذكرة بما أعلم . ولعلى لو كنت بادئاً لما استطعت أن أستظهر هذه القواعد وأن أفيد منها فى التطبيق . وليت سادتنا الأطباء يستطيعون أن يعيدوا لمثلى من الشيوخ شباباً يبدءون به تجربة الجديد :

ليت وهل ينفع شيئاً ليتُ
ليت شباباً بُوع فاشتريتُ

إذن لتسنى لى أن أجد السبيل إلى صواب الحكم على هذا التنظيم . والشأن فى جديد النظم أن توضع موضع الفحص والتجربة الميدانية مع من ليس له سابق علم ، ولن يكون الحكم صحيحاً فى العلم التطبيقى إلا بعد تجريب .

٥ — عرفت للدكتور محمد كامل حسين رأياً طريفاً فى مشكلة العدد ومعدوده فى العربية ، من حيث التذكير والتأنيث أو الإعراب أو الإفراد والجمع . لأن ملاحظة ذلك فى أحكام العدد مما يشق احتماله فى الكتابة العلمية وما إليها من الرياضيات والإحصائيات : وهو يرى التخلص من هذه المشكلة بأن يجعل العدد على صورة واحدة لا تتغير ، هى صورة الجرّ والتأنيث ، فيقال : ثلاثة وأربعة إلى العشرة ، ويكون المعدود مجروراً بمن ، فيقال : ثلاثة من الرجال وثلاثة من النساء ، وذلك على تقدير كلمة « عدد » قبل لفظ العدد ، فكأنما يقال : هذا عدد ثلاثة من الرجال ، وهذا عدد ثلاثة من النساء . ولتلك المقولة الكاملية فى التأنيث وجه فى العربية ،

فمن الأحكام أن المعدود إذا لم يذكر جاز تأنيث العدد وتذكيره ، وأما ذكره مجروراً بمن فليس بتمييز على الأرجح ، وإنما هو صفة لموصوف ، فمن قال خمسة من النساء كان تأويله خمسة من هذا الجنس ، أى خمسة كائنة من النساء ، فالتمييز مذكور معنى ، وليس مذكوراً لفظاً ، وفى هذا مندوحة للإعفاء من الإلزام بأحكام العدد ، من حيث التذكير والتأنيث ، طوعاً للتيسير فى التعبير العلمى بالفصحى المخففة .

٦ــ وفى مجال فقه اللغة صرفاً واشتقاقاً يطالب الدكتور محمد كامل حسين بالاقتصار على باب واحد للفعل ، مادام المعنى واحداً ، وعلى صيغ معينة للجموع تخلصاً من كثرتها ، وعلى أوضاع محددة للمصادر المتعددة للقلة والكثرة ولغير ذلك مما لا يعرف له وجه تعليل ، وعلى تحديد الدلالة للأدوات كالهمزة فى قصر دلالتها على التعدية . وكل هذا حسن فى ذاته ، من حيث المبدأ ، بل لعل بعضه من مقاصد تنقية اللغة وتهذيبها وتيسير اكتسابها واستعمالها . ولكن اللغة لا تفرض على أهلها بالرغبات والنزعات ، وإن يكن الغرض المنشود من ذلك الإصلاح والتقويم . وإنما يفرض أهل اللغة على لغتهم ما يرتضون لها من الأوضاع ، وهم الذين يطورونها بحسب مقتضيات حياتهم وما يعرض لهم من الشئون . ولكل عصر معجمه اللغوى ، يمثل النبض الفكرى لأهله ومعاصريه ، ويصور أذواق كتابه ومفكريه . ولكن الذى لا ريب فيه أن الدعوات إلى تنقية اللغة وتبسيطها أو إلى «تعقيلها» ــ على حد تعبير الدكتور محمد كامل حسين نفسه فى رسالته « النحو المعقول » ــ إنما تكمن قيمتها فى أنها إيقاظ وتنبيه ، وأنها تبصير وتنوير ، فإن لم يستجب لها جملةً فى العاجل أو الحاضر فلن تذهب سدى ، ولن يضيع لها صدى ، وإنها لواجدة أثرها العميق فى آجل من الزمن قريب أو غير قريب .

٧ــ وأيا ما كان الرأى فى تلك الدعوات التى صدع بها الدكتور محمد كامل حسين ، بغية الإصلاح اللغوى ، لتعميم التعبير بالفصحى ، فإنها باقية تعطر ذكراه ، عليه سلام الله .

محمد شوقى أمين

عضو المجمع

طُرَف
من الأدب واللغة
للدكتور أحمد عمار

(٣)

فرّ عمر بن الخطاب من الطاعون ، فقال له أبو عبيدة : أتفر من قدر الله ؟ قال : نعم إلى قدر الله .

* * *

قال عبد الملك بن مروان :

يابنى تعلموا العلم ، فان كنتم سادة فقتم ، وإن كنتم وسطًا سُدْتم ، وإن كنتم سُوقة عشتم .

* * *

ابن قيس الرقيات والخليفة عبد الملك بن مروان :

قال فى مصعب ابن الزبير :

إنما مصعب شهاب من الله
تجلت ن وجهه الظلماءُ
ملكه ملك رحمة ليس فيه
جبروت ولا به كبرياءُ
يتقى الله فى الأُمور وقد
أفلح من كان همه الاتقاء

وقال فى عبد الله بن مروان :

خليفة الله فوق منبره
جفت بذلك الأقلام والكتب
يدل التاج فوق مفرقه
على جبين كأنّه الذهب

فغضب عبد الملك عليه وقال : تمدحنى بالتاج كأنى من العجم ، وتقول فى مصعب : إنما مصعب شهاب من الله...إلخ.

* * *

إذا أنا لم أقبل من الدهر كلّ ما
تكرهت منه طال عتبى على الدهر

(أبو العتاهية)

يقال فى الوادى والنهر :

هما جَلْهتَاه : وعُدْوتَاه ، وضِفَّناه ، وجِيزَتاه ، وشاطئاه ، وشطَّاه .

* * *

لأبى حيان التوحيدى :

إن العلاقة التى بينّ السلطان وبين الرعية أوْشَج من الرحم التى تكون بين الوالد والولد . والملك والد كبير ، كما أن الوالد ملك صغير . وما يجب على الوالد فى سياسة ولده ، من الرفق به ، والحنوّ عليه ، والرقة له واجتلاب المنفعة إليه ، أكثر مما يجب على الولد فى طاعة والده . وذلك أن الولد غِر ، وقريب العهد بالكون ، وعار من التجربة . كذلك الرعية الشبيهة بالولد ، وكذلك الملك الشبيه بالوالد .

(من كتاب الإمتاع والمؤانسة)

* * *

من مناقب أبى حنيفة :

دعاه المنصور العباسى إلى القضاء فأمتنع فقال له : أترغب عما نحن فيه ؟ فقال لا أصلح . فقال المنصور : كذبت . فقال أبوحنيفة : فقد حكم أمير المؤمنين عَلَىّ أننى لا أصلح ؛ فان كنت كاذبًا فلا أصلح ، وإن كنت صادقاً فقد أخبرتكم أننى لا أصلح .

* * *

علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين :

قال ابن القيمّ : مثلت المراتب الثلاث بمن أخبرك أن عنده عسلاً وأنت لا تشك فى صدقه ، ثم أراك إياه فازددت يقينًا . ثم ذقت منه ؛ فالأول علم اليقين ، والثانى عين اليقين ، والثالث حق اليقين .

* * *

كان قد فعل ــ وكان فعل :

كلاهما صحيح . وكل ماجاء فى القرآن الكريم من الصيغة الثانية إلا مرة واحدة من الصيغة الأولى : « وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم » . ويرى بعض اللغويين أن « كان قد فعل » هو التركيب الصحيح .

وفى القرآن الكريم :

« وإن كان كبر عليك إعراضهم » .

«جزاءً لمن كان كفر » .

«وإن كان طائفة منكم آمنوا بالذى أرسلت به » .

«وإن كان قميصه قُدَّ من قُبل » .

« وإن كان قميصه قُدَّ من دُبر » .

«فلولا كانت قرية آمنت فنفعها إيمانها»:
« إن كنتُ قلتُه فقد علمتَه » .
« إن كنت جئت بآية فأْت بها » .
«إن كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا».
« فإن لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم» .

* * *

أكثم بن صيفى :

فى مقدمة حكام تميم ، بل فى مقدمة حكماء العرب أجمعين .

(ومن تميم كذلك الأقرع بن حابس وحاجب بن زرارة . . وجرير والفرزدق)

حين سمع أكثم بظهور النبى — عليه الصلاة والسلام — ، بعث بابنه حبيش إلى مكة ليأْتيه بالخبر اليقين عن الرسول ورسالته . وما إن عاد حبيش إلى أبيه وقص قصته ، حتى جمع أكثم بنى تميم وخطبهم مبشراً بدعوة محمد — عليه الصلاة والسلام — . ومما قال :

إن أحق الناس بمعونة محمد ، ومساعدته على أمره ، أنتم . فإن يكن الذى يدعو إليه حقاً ، فهو لكم دون الناس ، وإن يكن باطلاً ، كنتم أحق الناس بالكف عنه ، والستر عليه .

ومن الطريف أن مالك بن نويرة كان يستمع إلى أكثم ، فلم يعجبه ماسمع ، فقال : قد خرف شيخكم . فقال أكثم قولته المشهورة : ويل للشجىّ من الخلىّ .

ومن حكم أكثم :

مقتل الرجل بين فكيه .

إن قول الحق لم يدع لى صديقا .

من قنع بما هو فيه ، قرت عينه .

ويل لعالم أمر من جاهله .

لم يهلك من مالك واعظك .

حسن الظن ورطة ، وسوء الظن عصمة .

يكفيك من الزاد ما بلّغك المحل .

حسبك من شرٍّ سماعه .

من فسدت بطانته ، كان كالغاص بالماء .

يتشابه الأمر إذا أقبل ، فإذا أدبر عرفه الكيّس والأحمق .

* * *

عبد الرحمن :

يقال إن الرحمن اسم لم يعرف فى الجاهلية .

وقال ابن الكلبى : وقد سمعت العرب فى الجاهلية عبد الرحمن .

سمى عامر بن عنوارة ابنه عبد الرحمن.

وروى بيت للشنفرى (ولم ينقله الثقات) :

لقد لَطَمَت تلك الفتاة هجينها
ألا بتر الرحمن ربى يميثها .

عَوْف : العوف الضيف ، والحال . والأَسد لأَنه يتعَّوف بالليل فيطلب عُوافته أى مايأْكله . والذئب .

* * *

المنون :

إذا ذكِّر أُريد به الدهر ، وإذا أُنث أَريدت به المنية .

أَمِن المَنُونِ وريبه تتوجع
والدهر ليس بمُعْتب من يجزع
(أَبو ذؤَيب الهذلى)

* * *

ريح :

مؤنَّثة : والجمع رياح وأَرواح .

الشَّمال : التى تهب من الشمال .

الجَنوب : التى تهب من الجنوب .

القبُول : وهى الصبا : التى تهب من الشرق .

الدَّبور : التى تهب من الغرب .

النكباءُ : كل ريح جاءت بين ريحين.

التمام والكمال :

قال أَبوسليمان : التمام أَليق بالمحسوسات ، والكمال أَليق بالأَشياء المعقولة .

تقول : ما أَتم قامته ، وما أَكمل نفسه.

(الإمتاع والمؤانسة)

* * *

للامام الشافعى :

قالوا يزورك أَحمد وتزوره
قلت الفضائل لاتفارق منزله
إن زارنى فبفضله أَوزرته
ففضله فالفضل فى الحالين له

(قالهما فى أَحمد بن حنبل)

* * *

قال بعض الحكماء :

لاتَسُبّوا الغوغاء فإنهم يُخْرجون الغريق ، ويطفئون الحريق ، ويؤنسون الطريق ، ويشهدون السوق .

* * *

المرناة :

كنت قد اقترحت منذ أكثر من خمس عشرةَ سنةً على مجمع اللغة العربية تسمية التلفزيون « المِرْناة » وهى كلمة مشتقة من الفعل « رنا » . وقلت إن الفعل « رنا » معناه رأى وسمع ؛ بدليل قول النابغة الذبيانى فى وصف المتجردة :

ولو انها عرضت لأشمط راهب
عَبَدَ الإلٰه صرورةً متعبدِ

لرنا لبهجتها وحسن حديثها
ولخاله رشدا وإن لم يرشد

وقلت : قد يقول قائل إن الأفعال لاتستعمل فى العربية لمعنيين فى وقت واحد . وكان ردِّى على ذلك ما جاء فى القرآن الكريم : « إن الله وملائكته يصلون على النبى » . فالصلاة من الله الرحمة ، والصلاة من الملائكة طلب الرحمة . فالمرناة كلمة موفقة للتلفزيون . وكان أستاذنا العقاد قد كتب فى يومياته سنة ١٩٦٣ أنه شديد الإعجاب بهذه الكلمة ؛ اسم آلة من رنا كما أن المرآة اسم آلة من رأى .

أحمد عمار
نائب رئيس المجمع

أبو العلاء عطاء بن يعقوب اللاهورى وشعره

للدكتور ظهور أحمد أظهر

أنجب مدينة لاهور عددا غير قليل من أعلام الأدب العربى والفنـــون الاسلامية الذين خلدوا ذكراهم العاطرة فى تاريخنا الثقافى والأدبى ، وقد كان من بين هؤلاء الرجال الأعلام الشيخ أبو العلاء عطاء بن يعقوب اللاهورى « الشاعر الأديب » الذى كان يجيد اللغتين الفارسية والعربية فى نفس الوقت ، وله شعر رصين ونثر جميل بهاتين اللغتين كلتيهما مما يدل على موهبته الفنية وعلو كعبه فى الثقافتين الفارسية والعربية معا .

إن ذكرى هذا الشاعر الفذ هى ذكرى مدينة لاهور وتاريخها فى نفس الوقت ، فإنها كانت قد أصبحت من أهم المراكز الإسلامية فى جنوب آسيا بصفتها عاصمة ثانية للدولة الغزنوية ، واجتمع بها عدد من أعلام الفكر الإسلامى الذين كرسوا حياتهم لنشر الدعوة الإسلامية فى شبه القارة والنهوض باللغة العربية وتقدمها ، فهذا إمام المحدثين فى تلك البلاد الشيخ إسماعيل الغزنوى الذى تصدر لإقراء الحديث النبوى واستفاد منه خلق كثير ، وهذا زعيم المتصوفة المسلمين الشيخ أبو حسن على الهجويرى اللاهورى الذى جاء مبشرا بدين التوحيد والحنيفية فاسلم خلق كثير من الهنادكة المشركين على يده ، وفى هذا العصر نفسه نبغ عدد من الشعراء من أمثال أبى الفرج الرونى وأبى محمد الأرشدى ومسعود سعد اللاهورى ، ومهما يكن من شىء فإن خدمات هؤلاء الرجال الأفذاذ لتستحق كل عناية وإعجاب وتقدير ، إنها لمجهودات لا يمكن إنكارها أو تجاهلها .

أسرة أبى العلاء وحياته :

المصادر العربية والفارسية عن حياة أبى العلاء عطاء بن يعقوب الغزنوى اللاهورى تنص على أنه ينتمى إلى أصل عربى قد هاجر آباؤه فى عهد مبكر جدا ، ونزلوا بمدينة الرى فاستوطنوها وأقاموا بها مدة من الزمان ثم هاجروا إلى غزنة عاصمة الملوك الغزنويين ، وقد كانت هذه الأسرة العربية الكريمة أسرة ذات علم وفضل ونباهة وطيب ذكر ، فاستقبلها الملوك الغزنويون ورحبوا بها كل ترحيب وفوضوا إلى رجالهـــا الوظائف والمناصب الحكومية ، فقامت هذه الأسرة الفاضلة بما فوض إليها حق القيام ، واكتسبت ثقة الملوك وإعجابهم بها .

وقد ذكره ياقوت الحموى فى معجم الأدباء فقال إن أبا العلاء عطاء بن يعقوب كان أحد أعيان فضلاء غزنة وكان ابن عمه «الكوتوال» ووظيفة « الكوتوال » فى العصر الغزنوى كانت وظيفة هامة جدا وهو نائب السلطان وخليفته عند غيبته ، فإن هذا إن دل على شىء فانما يدل على نباهة هذه الأسرة وكفاءة رجالها ، وثقة الملوك بهم، واعتمادهم عليهم فى شئون الدولة .

ولا تصرح المصادر والمراجع عن حياة أبى العلاء بمولده ومنشئه إلاأن المرجح فى ذلك أنه ولد بغزنة عاصمة السلطان محمود الغزنوى وأخلافه ، ثم هاجر فيمن هاجر من أسرته إلى لاهور ، وتولى بها المناصب والوظائف الحكومية كما تولاها الوجهاء والأعيان من أسرته فظل يتقلب فى الوظائف وينقل من مكان إلى آخر ومن وظيفة إلى أخرى لمدة طويلة جدا، ثم نزل به العتاب الملكى فعزل وألقى فى السجن وحدث به مثلما حدث بصديقه الوفى الشيخ الشاعر المفلق مسعود بن سعد بن سلمان اللاهورى .

وظل الشيخ أبو العلاء اللاهورى يكابد آلام السجن وشدائده ، ويعالج هموم الحياة ونوائبها لمدة لا تقل عن ثمانية أعوام فإن المصادر عن حياته تصرح بوضوح بأن السلطان إبراهيم الغزنوى زاد الأقاليم الهندية للسلطنة فى سنة ٤٧٢هـ، فذكر له بان أبا العلاء عطاء بن يعقوب لا يزال فى السجن منذ ثمانى سنوات وهو برىء لاذنب له ، فعفا عنه وخلى سبيله .

وقضى الشيخ أبو العلاء بقية أيام من حياته فى مدينة لاهور، يقرض الشعر ويحضر المجالس الأدبية، يجتمع فيها باصدقائه من الشعراء والأدباء، حتى توفى فى سنة ٤٩١هـ ودفن بلاهور .

آراء بعض أهل العلم فى شخصيته :

ولأهل العلم وأصحاب التراجم ثناء على الشيخ أبى العلاء عطاء بن يعقوب اللاهورى وإعجاب بعلمه وفضله ، فإن جميعهم يشيدون بذكره ويقدرون خدماته الممتازة ومجهوداته الجبارة التى بذلها من أجل العلوم والآداب والثقافة ، وهذا مما يدل على مكانة الرجل المرموقة، وشرفه الكبير فى الأوساط العلمية والأدبية المعاصرة بمدينة لاهور فى العصر الغزنوى، فمن ذلك ما قاله الشيخ الأصيل والشاعر المفلق مسعود بن سعد بن سلمان اللاهورى بالفارسية :

عطاى يعقوب اى روشن ازتو عالم علم
تو آفتابى وما ذره راهمى ما نيم
كنونكه دوريم ازتو ، زروى وراى توما
چو ذرة بى مهراز چشم عدل پنهانيم

ومعناه : « يا عطاء بن يعقوب ، الذى نورت وتلألأت به دنيا العلم والأدب ، كنت مكان الشمس لنا، وكنا منك مكان أهباء الغبار : والآن وقد باعد الزمان بيننا ، قد حرمنا من رؤيتك وعطفك فكاننا أهباء الغبار نتخبط فى دياجير الظلم والحرمان ! »

ويقول عنه محمد العوفى صاحب لباب الألباب : « هو العميد الأجل وأفضل العصر وعطية من العطايا النادرة التى جادت بها السماء على الأرض ، وكان على مكانة كبيرة من العلم والفضل وأوتى اللفظ الجميل الحلو والمعنى العميق النادر . »

وذكره الشيخ هدايت صاحب مجمع الفصحاء فقال ما معناه : إن العميد عطاء بن يعقوب هو أعظم أعاظم الزمان وأفضل أفاضل العصر وفاضل فصيح البيان وشاعر رشيق اللسان ولا نبالغ إذا قلنا إنه كان عميدا من عمداء العلم والفضل وعطية فريدة من العطايا الإلهية ، كأن الله قد خلقه زينة للعلم ومنحة لأهله ، ولم يكن أحد بين فصحاء العرب والعجم فى عصره من استطاع أن يجيد العربية والفارسية كما كان يجيدهما ، وإن جميع البلغاء المعاصرين له كانوا يثنون عليه ويقدرونه غاية التقدير . »

ويقول عنه ياقوت الحموى ، نقلا عن القاضى معين الدين محمد بن محمود الغزنوى صاحب «سر السرور» : إذا اجتمع الأفاضل فى مضمار التفاضل واتزنوا بمعيار التساجل كان هذا الشيخ هو الأبعد إحضاراً والأرجح مقدارا ، أقر له بالتقدم رجالات الآفاق ، وأذعن له بالترجيح فضلاء خراسان والعراق ، حتى أشرق شمسا وهم كوكب وشهاب ، وأعذب بحرا وهم بين نهر وسراب ، يجلو عليه الفضل نفسه فى معرض الإحسان ، ويناغيه أهل الفضل بلسان القصور والإذعان ، وتشرئب إلى قلائده أجياد الأنام وتتباهى برسائله مواقع الأقلام .

شعره ونثره :

وقد كان الشيخ أبو العلاء اللاهورى شاعرا متفننا وأديبا بارعا ونحويا كبيرا ، وله شعر جيد رصين يجمع بين رقة الأسلوب ودقة المعانى وليس فيه التكلف البارد أو التصنع البعيد الذى يمتاز به شعر من عاصره من الشعراء فى العصر الغزنوى ، كما أن له آثارا نثريه جميلة تدل على موهبته وعلو كعبه فى لغة الضاد ، وكل ذلك يرجع إلى طبعه الخصب الفياض وجهده المثمر المتواصل فى خدمة اللغة العربية وآدابها ، ويقول فى ذلك القاضى معين الدين الغزنوى : « ولم يزل ، منذ أن شب إلى أن اشتعل الشيب برأسه ورسب قذى العمر فى آخر كاسه ، بين اقتباس يصطاد به وحوش الشوارد ، وإقباس ينثر منه لآلى القلائد ، وإبداع صنعة فى الشعر ما جمش الأديب باظرف من بدائعها ، واختراع نادرة ما أتحف الفضل باطرف من روائعها ! »

أما الموضوعات الشعرية عند أبى العلاء اللاهورى فهى لا تختلف عن الموضوعات المتداولة فى عصره ، فنراه يطرق جميع الميادين الشعرية من الفخر والحماسة والمدح والرثاء والغزل ، إلى جانب الصناعات البديعية المتداولة فى عصره ، ولكن قبل أن ندرس شعره ونثره يجدر بنا الإشارة إلى أن اللغة

الفارسية كانت قد بدأت تحل محل اللغة العربية كلغة رسمية فى هذا العصر الغزنوى ، فكان من الطبيعى أن تكون اللغتان — العربية والفارسية — أداة التعليم والثقافة ، ومن الطبيعى أيضا أن تكون كلتا اللغتين أداة الإظهار والتعبير عند المثقفين وعند الشعراء والأدباء خاصة ، فنرى الكثيرين من شعراء هذا العصر وأدبائه يجيدون اللغتين شعراً ونثراً فى نفس الوقت وهو مما اكتسب لهم لقب ذوى اللسانين » أى أنهم شعراء اللغتين وأدباؤهما . وعلى رأس هؤلاء الشعراء والأدباء كان صاحبنا أبو العلاء اللاهورى الذى أخرج ديوانين أحدهما باللغة العربية والثانى باللغة الفارسية ، ويقول ياقوت عن ديوانه العربى نقلا عن القاضى الغزنوى :

« وقد سافر كلامه من غزنة إلى العراق ومن ثم إلى سائر الآفاق حتى أننى حدثت أن ديوان شعره بمصر يشترى بمائتين من الحمر الراقصات على الظفر ، والمشهور أن ديوان شعره يشترى بخراسان بأوفر الأثمان ، وكيف لا وما من كلمة إلا وحقها أن تملك بالأنفس وتقتنى ، وتباع بالأنفس وتشترى » .

ومن شعره يصف شجرة الياسمين :

إليك الياسمين الغض عنى
إليك فإن فيه شرّ فال
فنصفٌ منه ياس من وصالٍ
ونصف منه مين من خيالِ !

وله قصيدة دالية ينتبع فيها دالية الشاعر العربى الشهير الأعشى ميمون بن قيس ، ومطلع قصيدة أبى العلاء اللاهورى :

أأعبد للدنيا الدنية أعبدا
وفضل إلهى ماج كالبحر مزبدا ؟ !
عطاء حبانا لا يحيط بعدد
حساب (عطاءٍ) ألف عام مرددا

ويروى أبو الحسن الباخرزى أبياتاً من لامية أبى العلاء اللاهورى ثم يعلق عليها قائلا : قلت : هذا روق رائق وفوق فائق ورغرال مغازل ! . » والأبيات هى (يصف قصيدة لشاعر صديق له) :

نظمك المعجز المبارك فالا
قد سقانا من عينه سلسالا
فروينا وما روينا ولكن
قد شفينا به القلوب النهالا
واجتنينا لآلىء العقد منه
واجتنينا السعود والإقبالا
رق لفظا فقيل خمر حرام
راق معنا فخيل سحرا حلالا

وله أيضا يصف شعراً لأحد الشعراء المعاصرين :

قريضٌ تجلى مثل ما ابتسمت أروى
ترشفت من فيه الرضاب فما أروى
تجلى كأروى فى حجال سطوره
وأنزل من شم الجبال لنا أروى
قريض به زادت لقلبى غلة
وغيرى به يروى الغليل إذا يروى

وله يصف عيون حسناء :

ياظبية سلت ظبي من جفنها!
تفرى بها أعناق آساد الورى
ما كنت أدرى قبل جفنك أنه
جفن الظباء يكون أجفان الظبي!

وهو القائل :

الحلب من دنياى جداء ما بهـا
على كثرة الإبساس در ولا جدى
وأسبح فى بحر السراب ضلالة
وأترك صداء وبى حرق الصدى !

ومما يؤسفنا ويؤلمنا أن ديوان هذا الشاعر الفذ مفقود لا يعرف وجوده فى مكتبات العالم : إلا أن كتب التراجم قد احتفظت بنماذج شعره ونثره فمن النماذج النثرية الرائعة قوله فى الصداقة والروابط الأخوية بين أفراد البشرية :

« الصحبة نسبة فى شرع الكرم ، والمعرفة عند أهل النهى أوفى الذمم ، والأخوة لحمة دانية ، والمصافاة قرابة ثانية ، ولو كان مابين ذات البين مابين القطبين لوجب أن يقطعا عرض السماء كالمجرة مواصلة ، ويتصلا اتصال الكواكب مراسلة ، ولكن الأقوام فى العقوق سواسية ، والقلوب فى رعاية الحقوق قاسية ! » :

وله رسالة غريبة رائعة بعث بها إلى أحد الوزراء فى وقته وهى مليئة بالمصطلحات النحوية استخدمها أبو العلاء لتعبيرات نادرة جداً:

« أطال الله بقاء الشيخ فى عز مرفوع كاسم كان وأخواتها ، إلى فلك الأفلاك منصوب كاسم إن وذواتها إلى سمك السماك ، موصوف بصفة النماء ، موصول بصلة البقاء ، مقصور على قضية المراء ، ممدود إلى يوم الثناء ، معروف به مضاف إليه ، مفعول له موقوف عليه ، صحيح سالم من حروف العلة ، غير معتل ولا مهموز همز الذلة ، يثنى ويجمع دائما جمع السلامة والكثرة ولا جمع التكسير والقلة ، ساكن لا تغيره يد الحركة ، مبنى على اليمن والبركة ، مضاعف مكرر على تناوب الأحوال ، زائد غير ناقص على تعاقب الأحوال (أى السنوات) . مبتدأ به خبر الزيادة ، فاعل مفعوله الكرامة ، مستقبله خير من ماضيه حالا وغده أكثر من يومه وأمسه جلالا ، له الاسم المتمكن من إعراب الأمانى ، والفعل المضارع للسيف اليمانى ، لازم لربعه لا يتعدى ، ولا ينصرف عنه إلى العدى ، ولا يدخله الكسر والتنوين أبداً ، يقرأ باب التعجب من يراه ، منصوباً على الحال أعلى ذراه ، متحركاً بالدولة والتمكين ، منصرفاً إلى ربوة ذات قرار ومعين ، وهذا دعاء دعوت له على لسان النحو ، وأنا داع له بكل لسان على هذا النحو ، ولولا الاحتراز العظيم من أن يمل الأستاذ الكريم لسردت افراده سردا ، وجعلت أوراده وردا ، وجمعت أعداده عقدا ، ونظمت أبداده عقدا : ذلك ليعلم أنى لم أخنه بالغيب ، إن الله لا يهدى كيد الخائنين ! » .

ظهور أحمد أظهر
رئيس قسم اللغة العربية بجامعة پنجاب (لاهور)

إقبال والقرآن

للدكتور حسين مجيب المصري

ماكان

لقولنا فى القرآن أن يتسع علينا فيقف عند حد ولا يطول بنا فيبلغ المنتهى وذلك أنه المسمى بالنور على المعقول والمجاز ، له مستلزمات النور السماوى الهادى على المحسوس والحقيقة ، ألا وهى الإشراق فى دوام ودوام ، وتبديد الظلمات ما خيمت على كل ما غمره فى أية جهة من الجهات .

وحسبنا فى الإشارة إجمالا إلى ما يمتاز به من عموم وشمول أن نقول إن الخطاب فيه على كثير من الوجوه ، كالخطاب العام فى (خلقكم)والخاص فى (أكفرتم) وخطاب الجنس فى (يأيها الناس) والنوع فى (يا بنى آدم) وخطاب العين (يا آدم) وخطاب المدح (يأيها الذين آمنوا) وخطاب الذم (يأيها الذين كفروا) وخطاب الكرامة (يا أيها النبي) وخطاب التودد (يا ابن أم أن القوم) كما أن فيه خطاب الجمع بلفظ الواحد(ياأيها الإنسان ما غرك)وخطاب الواحد بلفظ الجمع (وإن عاقبتم) وخطاب الواحدبلفظ الإثنين (ألقيا فى جهنم)والإثنين بلفظ الواحد (فمن ربكما يا موسى) وخطاب العين والمراد به الغير (فإن كنت فى شك) كما أنه يخاطب ثم يخبر كما فى (وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان . (أولئك هم الراشدون) ويخبر ثم يخاطب (فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم) ويخاطب عيناً ثم ينصرف هذا الخطاب إلى الغير كما فى قوله عز من قائل (إنا أرسلناك شاهداًومبشراً ونذيرا .ليؤمنوا بالله ورسوله) [1] .

ووردت فى فضائل القرآن أحاديث كثيرة تأتى لجلال الدين السيوطى أن يصنف فيها كتاباً موسوماً بخمائل الزهر فى فضائل السور . واختار منها حديثاً جاء فيه قوله صلوات الله وتسليماته عليه(كتاب الله فيه نبأ ماقبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم ، وهو الفصل ليس بالهزل ، من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى فى غيره أضله الله ، وهو حبل الله المتين وهو الذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم وهو الذى لا تزيغ

---

(١) ابن الجوزي : المدهش ص ٢ و ٣ (القاهرة ١٣٤٨) .

به الأهواء ولا تلتبس به الألسنة ولا تشبع منه العلماء ولا يخلق على كثرة الرد ولا تنقضى عجائبه ، من قال به صدق ومن عمل به أجر ومن حكم به عدل ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم .

ومما يذكرنا بفضل للقرآن إلى كل ما له من فضل أنه يحوى أشتات العلوم وتلك حقيقة تصدى لها فقيه عالم من أهل القرن السابع الهجرى هو الطوفى البغدادى فبين العلوم التى اشتمل عليها وينبغى للمفسر أن ينظر فيها ويصرف العناية إليها . وقال إن علم القرآن إما لفظى وإما معنوى فمن اللفظى علم الغريب وهو معرفة مفردات اللغة والإعراب والقراءات. أما المعنوى فمنه الوجودى المتعلق بالموجودات كالحث على النظر فى السموات والأرض وما فيها . ومنها الاعتقادى المسمى بأصول الدين وموضوعه البحث فى أحكام الإيمان بالله واليوم الآخر والكتاب والملائكة والنبيين . ومنها التاريخى وهو معرفة أخبار القرون الماضية كقصة آدم وخلقه وسجود الملائكة له . ومنها الوعظ ، وهو ما ترق به القلوب للإيمان وتنصرف إلى ربها . وتنصرف به النفوس عن العاجلة إلى الآجلة . ومنه علم الفقه وأصوله وبهما يعرف المؤمن أمر دينه وأحكام شريعته ثم علم المعانى والبيان .

وإنى لواجد فى رأى هذا المؤلف حجية ولا ريب ، لا لأنه ذكر ما يستقيم فى الفهم وحسب ، بل لأنه توخى الدقة بحذافيرها فى حكمه ، وعمد إلى التحديد فى كلامه ، والدليل كل الدليل على ذلك أنه تعرض لمن قبسوا العلم من القرآن فى كيفية الأخذ ، ففند ما فند وأيد ما أيد، ونسوق لذلك مثالا قوله إن طوائف من العلماء يتمسكون على دعواتهم بشبه كأصحاب صناعة الكيميـــاء الذين يتمسكون على صحتها بقوله تعالى (أنزل من السماء ماء) إلى قوله (فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض) وهم فى ذلك يشيرون إلى أن فى الغثاء ما إذا خالط المعادن الممتزجة سطا عليها بطبعه ، فميز الإكسير النافع منها وأفرده عن المزاج الزبدى الذى لا نفع فيه ، أو يرون أنه بالوقيد فى التصفيه يحدث ذلك . ويعقب على ذلك بقوله إن اللفظ يحتمل هذا من قولهم ، غير أنه ليس المراد منه باجماع من المفسرين وإنما هو مثل ضربه جل شأنه للإيمان والكفر والحق والباطل وشبهه بماء الغيث الذى يحمل الغثاء وهو يجرى فى الأرض زبداً يلقى ولا نفع له ، أما النفع فيكون بالمـاء الذى ينبت الزرع ويروى الظمأ .. والمعادن إذا عولجت بالنار ذهب عنها خبثها الذى لا ينفع ويبقى جوهرها الذى يتخذ حلية ومتاعاً .

---

(١) جلال الدين السيوطى : الإتقان ص ١٥١ ج ٢ (القاهرة ١٩٣٥).

كما يسفه رأى أصحاب التناسخ الذين يتوهمون أنهم يؤيدون مذهبهم بقوله تعالى (وما من دابة فى الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم) أى كانوا بشراً ثم نسخت أرواحهم فى أجساد الدواب والطير ويرى أن احتجاجهم ضعيف يرده المعقول والمنقول .

أما المتصوفة الذين يحتجون على ثبوت العلم اللدنى بقوله تعالى (وعلمناه من لدنا علما) فيحبذ رأيهم ويستصوب متمسكهم ويؤيد دعواهم لأن الإنسان إذا راض نفسه بالعبادات تهيأت لقبول الفيض الإلهى الذى يفيض عليها علما تدرك به حقائق بعض الغائبات وما أشبهها بالمرآة جليت فحكت صور ما قابلها[1] .

ومن الباحثين المحدثين من جعل القول فى فضل القرآن على العلم بالمفهوم الأوسع ، فيرى أنه لولا القرآن لكان لعالمنا اليوم غير ما هو لأنه أصل النهضة الإسلامية التى استبقت علوم الأولين وهذبتها فالحضارة الإسلامية المنبعثة من القرآن شكلت عنصراً على أعظم جانب من الأهمية فى التاريخ العلمى عند الأوربيين . وكان العلم قبل الإسلام عند الأمم فى النطاق الأضيق لأنه كان وقفاً على الكهنة دون سواهم عند المصريين والأشوريين وفى أبناء الأشراف عند الرومان . وفى طائفة مختارة من الشبان عند اليونان والهنود . وجاء الإسلام فحث على طلب العلم وترديد النظر وفى القرآن (قل هذه سبيلى أدعو إلى الله على بصيرة) و (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن) كما قال صلى الله عليه وسلم (اطلبوا العلم ولو فى الصين[2]) .

ويذهب رينان إلى أن القرآن من حيث أسلوبه يحمل طابع الجدة ، ويمكن القول إن هذا الكتاب يعد ثمرة أدبية ودينية على سواء فهو عند العرب مثال للأسلوب فى النظم وفى النثر ويعرض الشعر فى بلاغته فهو نص غاية فى أهميته للحياة الثقافية عند أمة من الأمم. كما يرى أنه ظهر حين دب دبيب الضعف فى الشعر العربى ، وهو يستدل على تلك الظاهرة بقول عنترة فى الشطر الأول من معلقته (هل غادر الشعراء من متردم)[3].

ونستدرك على هذا الكاتب رأيه بقولنا إن القرآن نص منثور يخلو تمام الخلو من الشعر الموزون، ويباين النثر الجاهلى والإسلامى بآياته التى تتيح لقارئه الوقف ، كما أنه لا يلتزم السجع التزاماً ، ففيه سور قصار مسجوعة وكثرة من الآيات تتضمن سجعاً فى السور الطوال . وكثيراً ما ينتقل من كلام مسجوع إلى مرتل . فهذا القرآن حينئذ

---

(١) الطوفى البغدادى : الاكسير فى علم التفسير ص ١٨ – ٢٤ (القاهرة ١٩٧٧) .

(٢) مصطفى صادق الرافعى : إعجاز القرآن ص ١٤٥ – ١٤٦ (القاهرة ١٩٢٨) .

(3) Renan : Histoire Generale des Langues Semitiques PP. 367, 368 (Paris 1901).

نثر ذو طابع خاص وسمات على حدة .
ولا نتابع الباحث على رأيه وهو يقول إن القرآن ظهر فى فترة تدهور أدبى عند العرب وقول عنترة مؤيد لما يناقض ذلك ، وبالتالى يصوب فهم من قد يتوهم أن القرآن استمد إشراقه مما حوله من ظلام . ومعلوم أن القرآن نزل بلغة قريش وهى أفصح لغات العرب ، وأنه صلى الله عليه وسلم أفصح فصحائها كما يتجلى ذلك فى الحديث النبوى وللشعر والشعراء ذكر فى الكتاب الكريم . ومن قالة الشعر من أيدوا دعوة الإسلام ببيانهم ولسنهم .

وإذا ما قدر الشيوع والذيوع للغة العرب فى المشارق والمغارب ، وجرت على ألسنة من لم يكن أصحابها موصولى النسب بالعرب فذلك بفضل القرآن الذى أصبح النظر فيه أوجب واجب على المسلم . ونضرب لذلك مثلا بانتشار العربية فى فارس فبعد أن فتح الله على العرب تلك البلاد لرفع كلمة الحق والدين ، تقوضت دعائم ملك الأكاسرة وحلت وحدانية الإسلام محل ثنوية المجوس ، وكان حتما على الفرس الداخلين فى دين الله أفواجاً أن يعرفوا لغة القرآن لأنها لغة الدين ، فحذقوها أيما حذق ، وتأتى لهم على مر الأيام أن يبزوا العرب فى امتلاكهم لناصيتها مما أنساهم فارسيتهم وقوميتهم ، فلم يكونوا إلا مسلمين . والإسلام لا يفرق بين عربى وعجمى إلا بالتقوى وقضى الله من بعد أن يكون من هؤلاء الأعاجم من حملوا مشعل حضارة الإسلام فى كل مظهر من مظاهرها كالدين والعلم والفن ، فكانوا مشاهير المفسرين والمحدثين والعلماء والمفكرين والمؤلفين والفنانين . وعبروا بلغتهم التى لم يفصلوها عن إسلامهم وهى لغة الكتاب الكريم . أما بعد أن وجدوا السبيل إلى بعث ما اندثر من قوميتهم وبناء ما انهدم من صرح كسرويتهم وكانت اللغة رمزاً لسابقتهم فى المجد وتعبيراً عن عصبيتهم نشأت فيهم لغتهم الفارسية المعروفة بالفارسية الحديثة تميزاً لها عن الفهلوية أو الفارسية الوسطى التى كانت لغتهم قبل أن ترق للإيمان قلوبهم . غير أن هذه الفارسية تأثرت بلغة القرآن فى أعماقها وأبعادها ، بل إن العنصر العربى فيها كان له الرجحان على العنصر الفارسى .

بيد أن لغتهم الفارسية القومية لم تنسهم لغتهم الدينية القرآنية فى مقامها الأول فظلت لديهم لغة القرآن والشرع . ومنهم من نظم الشعر بها وألف وصنف إلى جانب ما نظم ونثر بفارسيته . وكان العلم بالعربية ضرورة دينية وثقافية لكل فارسى لا غنية له عنها .

ولما غزت جيوش الفرس شمال الهند فى القرن الرابع الهجرى تمت الخلطة بينهم وبين أهل البلاد وأفضت هذه الخلطة إلى امتزاج لغة الفرس بلغة أهل السند حتى نشأت لغة جديدة فى شمال الهند عرفت بالأردية نسبة إلى (اردو) بمعنى الجيش

فى التركية لأن العنصر الأغلب فيها كان فارسياً ولما كانت الفارسية محملة بما لا يحصى كثرة من الألفاظ العربية وتراكيبها ، تسربت لغة العرب إلى لغة أهل الهند . وكان شأن العربية شبيهاً بشأنها فى بلاد الفرس ، أى أنها كانت لغة الدين والشرع بالذات .

ووجدت لغة القرآن سبيلها إلى لغة الترك بعد أن دخل الإسلام عليهم فى القرن الثانى من الهجرة وأخذ الأتراك العثمانيون بأسباب حضارة الفرس الإسلامية فتسربت الفارسية إلى تركيتهم بما فيها من عربية . كما كانت العربية لغة يعرفها علماء الترك وبلغاؤهم ، على أنها لغة دينهم وشريعتهم . وهذا كله قاطع الدلالة على انتشار العربية فى الآفاق ودخولها فى تشكيل لغتين إسلاميتين معلول بعلة لا مرية فيها ، وهى أن العربية لغة كتاب الله التى جمعت المسلمين أجمعين بوشيجة لغوية وإن تفاوتت تلك الوشيجة قوة وضعفاً لدى شعوبهم فى أرجاء الأرض .

وهذه الصلة اللغوية بين المؤمنين تذكرنا بصلة أخرى تعرض لها لامانس قائلا إن التصور الإسلامى للعالم إنما تشكل فى قالب القرآن وهذا التصور يفسر لنا ما بين المسلمين من تساو على نسق واحد وإن اختلفوا فى الجنس[1]

وهذا من كلامه تمس الحاجة فيه إلى بسط وإيضاح ، فذلك التصور المجرد للعالم مبهم يستغلق ، وقد يشركهم فيه غيرهم ، والأمثل أن يقال إن القرآن جمعهم على عقيدة واحدة فساوى بينهم على هذا المفهوم وإن وجب التحفظ والأخذ بالحيطة فى هذا الحكم على إطلاقه ، لأن الإجمال لا يغنى عن التفصيل .

وذلك باعثنا على الخوض فى حقيقة أخرى لها العظيم من خطرها وهى أن المسلمين جميعا لم يفهموا القرآن على وجه واحد ، وتفاوتهم فى فهمهم مترتب على تفاوتهم فى علمهم ومنهج تفكيرهم . ونعهد هذا فى العصور الخوالى والعصور التوالى .

قيل إن سائلا سأل عمر بن الخطاب عن معنى الأبّ فى قوله تعالى فقال نهينا عن التكلف والتعمق كما سئل عن معنى التخوف فى قوله تعالى (أو يأخذهم على تخوف) فلم يعرف . وسأل رجلا فعرف وأيد المعنى ببيت من الشعر[2]

كان هذا فى الأعوام الأولى من الإسلام وعمر سامع من النبى واع عنه والظن بمثله أنه بعلم هذا الأخلق الأجدر ولكن كتاب الله وهو ما فى دقة معانيه ورصانة مبانيه لا يدرك كله ولا جله بيسر وهينة والحاجة جد ماسة فى فهمه إلى إعمال الروية وترديد النظر وتقصى الحقائق وطلب القواطع من البراهين ، ومن المستبعد أن يضطلع فرد

---

(١) Lammens : L'Islam, Croyances et Institutions. P. 63 (Beyrouth 1926).

(٢) الشاطبى : الموافقات ص ٥٧ ، ٥٨ (القاهرة)

وحده بهذا كله . وإن كان ذلك لا يتنافى مع وجود آيات واضحات وكلمات مأنوسات يتيسر فهمها ولا يتعسر .

ودامت الحال على هذا حتى تقدم الزمن وانقسم المسلمون شيعاً وأحزاباً واحتدم بينهم النزاع والتخاصم وتضاربت الأقوال ، وتخالفت الآراء ، والتمس كل فريق حجته الدامغة على رأيه الملزم فى آية يفسرها وقد يخرج بها عن الصحيح من مغزاها .

وهذا الصنيع يذكرنا بقول من قال : ايما إنسان باحث عن عقديته فى الكتاب السماوى ، وما من أحد إلا واجد ما بحث عنه [1] .

ولما رأى جماعة من الزهاد المشتغلين بالعلم أن التفسير كان لاستنباط الأحكام وتأييد العقيدة بالحق بذلك كان الإقدام على الجانب العقلى والإحجام عن الجانب الروحى جمع بعضهم مفاهيم أهل الوجدان من العلماء فى كتب كانت من بعد ما عرف بالتفسير الصوفى ومن أقدمها حقائق التفسير للسلمى واللطائف للقشيرى [2]

والحق أنه من الأهمية بمكان عظيم أن يهتدى إلى نزعات التصوف فى القرآن ويعد مؤيداً مؤكداً لتأملاتهم الدينية والدنيوية [3]

ومن الباحثين من يرد فكرة وحدة الوجود مثلا التى أخذ بها بعض الصوفية إلى قوله تعالى (ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله إن الله واسع عليم) فهذا أبو طالب المكى صاحب قوت القلوب حين يذكر مقامات أهل اليقين يبدأ الفصلين اللذين عقدهما عن مقام التوبة والصبر مثلا بما يؤيدهما من آيات الذكر الحكيم [4] . وحقيق بالذكر أن الاختلاف فى فهم القرآن وتفسيره كان علة العلل فيما وقع من شديد الخلاف بين الفقهاء والصوفية : فالفقهاء وقافون عند حرفيته وظاهره على نقيض من الصوفية الذين ينصرفون إنصرافاً عن هذا الظاهر ويغوصون فى أغوار الباطن . فالفقيه يرمى الصوفى بالفسق والمروق والصوفى يرمى الفقيه بعمى البصيرة وضيق الأفق وهو عنده ذلك الجهول الذى لايعرف من اللوزة إلا قشرتها ولا يرى من الدرة إلا صدفتها . وها هو ذا

---

(١) Goldzieher : Die Richtungen der islamischen Koranauslegung S1 (Leiden 1952).

(٢) صدر الدين القونوى : إعجاز البيان فى تأويل القرآن ص ٢٥ (القاهرة ١٩٦٩)

(٣) Goldzieher:Die Richtungen der islamischen Koranauslegung S1. 180 (Leiden 1952)

(٤) أبوطالب المكي ، قوت القلوب ص ٣٦٤ و٣٩٤ حـ ١ (القاهرة ١٩٦١) .

جلال الدين الرومى أكبر وأشهر شعراء التصوف عند الفرس يقول فى هذا الصدد (لا تظنن أن حرف القرآن ظاهر فتحت الظاهر بطن باهر للناظرين ، فما يرى الشيطان من آدم إلا الطين . وظاهر القرآن كشخص الإنسان يبدو منه للعيان إلا أن روحه فى طى الكتمان [1] .

فالصوفية يرون أن مذهبهم جامعة بين المسلمين جميعاً وفى هذا يرى أحد الباحثين الإيرانيين المحدثين أن حركات مقاومة الأيرانيين ضد العرب رغبة فى بعث القومية الإيرانية التى استأصل العرب شأفتها اتخذت لها طابعاً مذهبياً فتناحرت الأحزاب ، وتصادمت العقائد ووقعت الفرقة بين المسلمين المتخاصمين المتحاربين فصح العزم لدى بعض الإيرانيين فى القرن الثانى من الهجرة على الدعوة إلى الأخذ بمبادىء التصوف التى لا تفرق بين فرقة وأخرى وبذلك يعتصم المختلفون بالعشق الألهى الذى يكفل لهم الوحدة والصفاء بين الفرقة والعداء [2] .

وعندنا أن هذا مجرد حسبان لا يؤيده سند من تاريخ ولا يؤكده عقل ولا نقل إلا أننا نورده لإشارته إلى مبدأ خاص للمتصوفة يعززه رأى آخر فيما يتعلق بالتصوف والقرآن واللغة العربية .

فهذا من يقول إن معرفة مبادئ التصوف مستلزمة حتما فهم الألفاظ العربية وفى معرفتها الكفاية كل الكفاية فما من لغة سواها لها ما لها من دقة المعانى وغزارتها . وعند الصوفى أنه إذا قدر على أن يأتلف وتنضم أطرافه فى وحدة مثالية ، واتقى العالمون الله حق تقاته . فلن يكون هذا إلا من خلال اللغة العربية والرمزى من دلالاتها . والقرآن يزود الصوفى بكل ما يروض الحياة ويواجهها فى شتى مناحيها كما يجد فيه أن محبة الله التى تضمنتها كتبه من قبل بلغت ذروة كمالها فى كتابه الخاتم [3]

والقرآن فى تعريف بعض الصوفية هو الذات التى تضمحل فيها جميع الصفات فهى المجلى المسماة بالأحدية أنزلها الله تعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم ليكون مشهده الأحدية من الاكوان ومعنى الانزال أن الحقيقة الأحدية المتعالية فى ذراتها ظهرت بكمالها فى جسده [4]

وعند الصوفية أن الفعل يقرأ هو المرادف البدائى للفعل تصوف والقدر الأكبر من مصطلحات الصوفية أنما أخذ من القرآن [5]

---

(١) حرف قرآن را مكوكه ظاهراست زير ظاهر باطنى هم قاهر است
زير آن باطن يكى بطن دكر خيره كردد اندرو فكر ونظر
توز قرآن أى پسر ظاهر مبين ديو آدم رانبيند غير طين
ظاهر قرآن چو شخص آدمى است كه نقوشش ظاهر وجانش خفى است

(٢) روشندل . . مقدمة كلشن راز ص ١٣ (تهران ١٣٥١)

3. Iqbal Ali Shah, Islamic Sufism PP. 40-42 (London 1953).

(٤) الجيلانى : الانسان الكامل ص ٦٦ ـ (القاهرة)

5. Emile Dermenghem: L'Eleoge du Vin P. 44 (Paris 1931). (٥)

كما أن القرآن هو الأصل الذى اشتقت منه رموز التصوف الإسلامى [1]

وقد أدخل الصوفية رمزية القرآن فى أعماق الشعر الإسلامى على اختلاف لغاته حتى تعذر فهم هذا الشعر أو كاد مالم يكن القارئ على علم واسع بالقرآن [2]

ونحن واجدون فى شعر الترك والفرس ذكراً للقرآن يتردد ويتردد وذلك لسببين عام وخاص أما العام فما لكتاب الله من منزلة عند المسلم وكرامة عليه وما يتوجب من نظره إليه مأخذا للدين وفيصلا للحسم فى كل ما مست حاجته الى حجة تقطع ودليل يقنع . أما السبب الخاص فهو نشر مذهب بعينه والتماس ما يشكله فى كيان ويؤيده ببرهان . وهـــو المذهب الصوفى فى الأعم الأغلب . فهذا شاعر الأتراك العثمانيين الأول عاشق باشا من أهل القرن الرابع عشر ينظم كتاباً فى التصوف بعنوان (غريبنامه) ويرتبه على عشرة أبواب من عشرة فصول يعرض فى مقدمة كل فصل فكرة الموضوع ثم يتناولها بالتذييل والتأويل مع استشهاد بآيات قرآنية [3] والمشاهد أنه لا يدخل الآيه فى كلامه بل يفصل بها مراراً بين الطائفة من شعره .

وها هو ذا يورد قوله تعالى (لئن شكرتم لأزيدنكم) ثم يبسط الكلام فيها ويعاود ذكرها فهى فاصلة فى أربعة مواضع من شعره تستغرق أقل من صفحتين [4] ويمضى بنا الكلام إلى شاعر تركى آخر هو تسيمى الذى عاش إلى أوائل القرن الخامس عشر ، وكان على المذهب الحروفى ، الذى يذهب أصحابه إلى أن فى القرآن علما لا يحيط بشىء منه إلا ذو حظ عظيم ، وأن الله خلق الإنسان على صورته وهو معبود الملائكة جميعاً إلا إبليس الذى أبى السجود له . وللقرآن باطن ينبغى الأخذ به وظاهر من الحثم قطع النظر عن حرفيته. والحروفية يشبهون وجه الإنسان بالقرآن فيقولون على سبيل المثال إن رأسه سورة الفاتحة . وبعض جوارحه مما يستوجب العبادة والله فى وهمهم قد حل فى الإنسان فإذا تغزل شاعرهم فى محاسن امرأة فقد سبح بحمد ربه وعبده فى تلك الصورة الآدمية الجميلة [5] .

---

(١) Massignon : Essai sur les Origines du Lexique Technique de 16 Mystfque Musulmane P 180

(٢) Schimmel : Der Koran, S. 19 (Stuttgart 1960).

(٣) دكتور حسين مجيب المصرى تاريخ الادب التركى ص ٦٧ (القاهرة ١٩٥١)

(٤) كيب تاريخ أحفار عثمانية ص ١٠ ، ١١ ليدن ١٩٠٩

(٥) دكتور حسين مجيب المصرى فى الادب العربى والتركى ص ٦٧ (القاهرة ١٩٦٢)

وهو يضمن أشعاره آيات قرآنية ما استطاع إلى ذلك سبيلا كما فى تغزله وهو يقول إن وجه الحبيب نصر من الله وشعره فتح قريب وغدائره وجبينه الرحمن على العرش استوى حتى يقول إن جماله كلام الحق وهو شيء عجيب [1]

ومن شعراء الترك فى القرن الثامن عشر شاعر يسمى نابى كان مرموق المكانة حتى ضرب المثل ببلاغته وتناهيه فى فصاحته . ولم يشكل الخيال والحس العنصر الغالب على شاعريته وأفكاره لا تنسجم إلا فلسفياً وما تحدث شاعر من أهل زمانه كما تحدث عن الله والقضاء والقدر والرضا والتوكل والقناعة والاخبات وما أشبه [2]

وقد أشار إلى القرآن الكريم فى مواضع من شعره كما فى قوله وهو يمدح النبى صلى الله عليه وسلم إنه إنسان عين روح سر القرآن [3]

فكأنه لم يجد مشبها به أعظم ولا أكرم من كتاب الله .

كما يلوح إلى ما جاء فى القرآن من خبر الطوفان فيقول إن الحنين إلى وصاله كان شراعاً لسفينة نوح مضى بها إلى الساحل [4] فهو متأثر بالتصوف ، ولكن فى روعة بيان وروحانية فمامال إلى تأويل ولا غير المعنى إلا بمقدار ، أما إذا بلغ بنا الكلام صنيع شعراء الفرس فى هذا الصدد فلنأنس بقول من انبرى لتأريخ العلوم فى إيران بين منتصف القرن الخامس إلى مستهل السابع . إن تفسير القرآن تعددت مقاصده وتشتت فكل طائفة من العلماء فسرت القرآن بوجهة نظرها الخاصة بها فالنحوى فسره من حيث صلته بقواعد النحو، والإخبارى لم يهتم إلا بما فيه من قصص وأخبار والفقيه استمد منه أحكام الفقه والصوفى قصر نظره فيه على ما بعقد الصلة بينه وبين التصوف [5] وهذا يذكرنا بالشاعر الفارسى الصوفى سنائى المتوفى عام ٥٤٥ هجرية وهو أول شاعر فارسى صوفى أورد فى شعره اصطلاحات التصوف [6] وله كتاب منظوم فى التصوف موسوم بحديقة الحقيقة . وفيها يذهب مذهب الصوفية فى رؤيتهم للقرآن ظاهراً للعوام وباطناً للخواص . وسنائى يتخذ من القرآن أساساً يقيم عليه كتابه هذا فلا نكاد نقع على موضوع فيه يخلو من آية قرآنية يفسرها على النحو الصوفى .

---

(١) نسيمى : ديوان نسيمى ص ٤٧ (استنبول ١٢٦٨)

2. Agah Sirri : Nabi'nin Surnamsesi S. 17 (Islanbul)

(٣) ديوان نابى : ص ١٧ .

(٤) ديوان نابى : ص ١٦ .

(٥) دكتوز ذبيح الله صفا تاريخ ادبيات در ايران ص ٢٥٤ ج ٢ تهران ١٣٣٣٩ .

(٦) دكتور معين : مزديسنا وتأثير آن درادبيات پارسى ص ٥٠١ تهران ١٢٢٦ .

والآيات إما ترد بنصها أو بمعناها ، كما يتناولها بالتفسير حرفياً أو صوفياً أو كلامياً وحقيق بالذكر أن سنائى عمد إلى التفسير الصوفى فى الآيات التى تتصل بمقامى القهر واللطف ، وهما يقابلان الوعد والوعيد عند المتكلمين [1]

ومثال ذلك قوله إن الله إذا شاء إحياء الميت قام يجرر كفنه ولو قال لحى مت لقضى كائناً من كان ومن قهره ولطفه الحى من الميت والميت من الحى [2] وبعد سنائى يتسع المجال لذكر شاعر فارسى صوفى من أشهر المشاهير وهو العطار من أهل القرن السابع وله منظومة بعنوان إلهى نامه ، أورد فى مواضع منها ألفاظاً وعبارات قرآنية بلفظها . كما فى قوله إن (لعمرك) تاج رأسه الذى ينفح مسكا و (ألم نشرح) طراز لزمانه [3] وقد أورد من القصص الدينى ما لا نجده بهذه الكثرة فى كتبه المنظومة الأخرى ، وما ذاك إلا أن روح الزهد سيطرت عليه فى التفكير والتعبير ، فاستمد القصص الدينى من مظانه وقد أضاف إليه فى كثير من المواضع آيات قرآنية لتأييد المعانى وتأكيدها [4] وترجم آية فى قوله (لم يولد منه أحد ، ولا ولد من أحد) [5]

وقبس من القرآن قصة آدم وحواء وإبليس للتمثيل والتخيل ومجمل ما قاله أن إبليس أودع ابنه المسمى الخناس صدر حواء فعجز آدم عن إخراجه ، وحاول ذلك الكرة بعد الكرة إلا أن محاولته ذهبت هباء منثورا ، ولقد قتل الخناس ومزقه تمزيقاً غير أنه بعث حياً ، وأحرقه وأذراه فى الريح رمادا ، ولكن سرعان ما دبت الحياة فيه ثم أكل هو وحواء كليته [6]

وهذا تمثيل لما ورد فى سورة الناس ، وتمثيل لنزغات الشيطان المستقر فى صدور البشر ولا مخرج له منها .

وبعد تعرفنا لهذين الشاعرين الصوفيين ، تجدر بنا الإشارة إلى شاعر فارسى غير صوفى عاش فى الهند فى القرن الخامس هو أبو الفرج الرونى ، ومن خصائص شعره كثرة اقتباس الآيات القرآنية وتضمينها شعره ، وهو ظاهر التأثر بقصص القرآن وله حذق أى حذق فى تشبيه ما وقع لممدوحيه بما ورد فى هذا القصص .

---

(١) دكتور ابراهيم شتا : حديقة الحقيقة ص ١٣٨ (رسالة بمكتبة جامعة القاهرة).

(٢) سنائى – حديقة الحقيقة ص ١٠٠ (تهران ١٣٣٧)

(٣) عطار : الهى نامه ص : (طهران ١٣٥١)

(٤) فروزانفر : شرح احوال عطار نيشابورى ص ٩٨ – ٩٩ (تهران ١٣٥٣)

(٥) عطار الهى نامه ص ٣٠٨ .

(٦) عطار : الهى نامه ص ١٠٢ – ١٠٣ .

وهذا الشاعر مداح يجنح فى مدحه الى المبالغة والاغراق ، ويثقل عباراته بالبديع ويتكلف إيراد الغريب ، فما وجد أفضل من كتاب الله زينة لكلامه وشاهداً على روعة بيانه .

وأبو الفرح الرونى فى صنيعه هذا موفق تارة ويخذله التوفيق تارات ، شأنه فى ذلك شأن غيره من الشعراء الذين جروا على هذا التقليد الأدبى ، والأمثلة موفورة نورد منها أقلها ، فمن المبالغة التى لا تسوغ فى الذوق قوله إن روح الملك كمعجزة موسى ، تخيب فيها كل حيلة (١) ومن الشطط أن يشبه نفسه بنبى الله موسى فى قوله إنه طالب الخضر كموسى (٢) ولا طلاوة على كلامه وهو يقول إن سهمه حين انطلق إلى أرض العدو قرأ كل من عليها فان (٣) ومما يصرف كلامه عن حقيقة مفهوم الآية أن يقول إن مقدم الملوك يجعل الروضة قاعا صفصفا على حين يصبح القاع روضة بمقدم الملك (٤) .

فكأنه يخالف مضمون الآية وهو أن دخول الملوك على القرية يفسدها ويجعل الأعزة من أهلها أذلة . وكان الأجدر به إذا استشهد بالقرآن أن يستشهد بما لا ريب فيه لا أن يحاول إثبات أن ممدوحه يشذ عما جاء فيه فذلك ما يسوء وقعه فى نفس المؤمن ، ولكن ولعه بالمبالغة فى هذا المدح يشكك فى صحة ما قيل من أن أجمل الشعر أكذبه .

ويشبه هذا بعض الشبه قوله إن عين الزمان طلبت رؤية قدر الممدوح فوضع القضاء فى أذنها (لن ترانيا) (٥)

فذلك مستقبح من وجهين ، أما أولهما فأن الشاعر يورد ما قال الله لموسى فكأنه أجرى على لسان القضاء كلاماً قاله الله لنبيه ، ووجهه إلى عين الزمان ، وتلك جرأة على الله منه . والوجه الثانى إضافته الألف إلى (لن ترانى) (فغير كلام الله ، ولن يتسع له العذر حتى إذا اضطرته القافية إلى مثل هذا .

وهنا مقام نورد فيه مجمل ما قال عبدالقاهر الجرجانى فى إعجاز القرآن من أنه أعجز بمزايا فى نظمه وسباق لفظه وبدائع مبادئ آيه ومقاطعها ومجارى ألفاظها ومساق كل خبر . وليس فى القرآن كلمة ينبو بها مكانها ويرى أن غيرها أصلح منها أو أشبه أو أحرى وأحق وأجدر (٦).

وبعد فهذه توطئة كان لزاماً أن نمهد بها بين يدى الكلام فى صنيع إقبال ليكون الفهم على أساس منها ، ويتهيأ بها قياس مجهول على معلوم، ورد النتائج إلى مقدماتها ، وربط

---

(١) ديوان ابو الفرج رونى ص ٥٨ (مشهد ١٣٤٨) .
(٢) ديوان ابو الفرج ص ٢٨ . (٣) ديوان أبو الفرج ص ١ .
(٤) ديوان ابو الفرح رونى : ص ٥ . (٥) ديوان ابو الفرح رونى ؛ ص ٨
(٦) عبد القاهر الجرجانى : دلا ئل الا عجاز ص ٣٢ « القاهرة ١٣٣١ »

المسببات بأسبابها وتبين وجوه التشابه والتخالف بما يتحقق به تفهمنا الحق لإقبال فى نظره إلى كتاب الله ومبلغ عنايته به وترديد آيات منه فى أشعاره . وهذا ما سوف تنعقد فيه الصلة بين حقيقة وحقيقة بكيفية تجلى أخص خصائص شخصية إقبال من حيث كونه مفكراً بعيد الشأو فى رجاحة العقل وسداد الرأى ، وداعية إسلاميا انقطع قرينه أو كاد .

ولما كان المؤمن الموقن ، كان القرآن عنده كتاب الإسلام ومجمع كل ما له من أصول وأحكام ، فليس ببدع أن يتبادر إلى الأخذ بما فيه والاستشهاد بآياته ليكون على حجة مما لا ريب فيه وبحث أولى الألباب على تذكر ما كانوا عن تذكره ساهين .

وهو يواجه القرآن فى شعره على نحوين أما أولهما فاعتباره مرجع كل مسلم وعمدته فى كل أمر من أمور دنياه وأخراه ، والثانى إشارته إليه وتضمين شعره آيات منه . ولنسق الأمثلة لذلك مساقاً موجزاً تتحقق به الإبانة ويشكل المصداق لما نذهب إليه :

فلإقبال منظومة بعنوان (مناجاة) صدر بها كتابه المنظوم (جاويد نامه) وهذا النمط من المنظومات مما شغف به الصوفية على الأخص ، لأنهم ضمنوه التعبير عما تموج به قلوبهم من عشق إلهى وطرقوا رقاق المعانى وهم يرفعون إلى الله أكف الضراعة طلباً لرحمته بهم ، ورغبتهم فى إقرارهم بعبوديتهم له . وما أملهم إلا أن يكونوا فى مرضاته . وهذا تسبيح وتعبد . يقول إقبال :

لك وجه هو قرآنى ودينى
أتضن ؟ وعلى روحى الحزين
لو رمت ألف شعاع شمسنا
ما رأت فى الشمس نقصاً عيننا(١)

فهو يتلو تلو الصوفية فى رمزيتهم حين يوجهون الخطاب إلى الله فى غزلهم الإلهى على غرار ما يوجهه الشاعر إلى محبوبته فى غزله الإنسانى بحيث لا يميز بين الغزل الصوفى وغير الصوفى إلا من أدرك ما فى شعر المتصوفة من إيماء إلى حقائق خاصة بهم ، لا يدركه إلا الراسخون فى العلم . وفى كلام إقبال من رقة العاطفة ما يبلغ الغاية وهو يصور محبته لله ويعبر بذلك عن تقواه :

وقد قرن دينه بالقرآن وتمثل وجهاً لله يرى وجه شبه بينه وبين كتاب الله كما ندرك هذا بالحس الأدبى والخيال الشعرى ولقد ذهب المفسرون مذاهب شتى فى تفسير وجه الله . فهو فى الأصل جارحة الإنسان إلا أن المراد به الذات الإلهية وقيل إنه التوجه إلى الله بالصالحات :(٢)

---

(١) روى توايمان من قرآن من جلوهٔ دارى دريغ ازجان من
ازاين صد شعاع افتاب كم نمى گردد متاع آفتاب (جاويد نامه ص ٣)

(٢) الراغب الاصفهانى : المفردات فى غريب القرآن ص ٥٣٤ (القاهرة)

ونحن لا نخوض فيما خاض فيه المفسرون وكل ما نجعله مناط اهتمامنا فى هذا المقام هو أنه عرض علينا صورة بيانية رائعة أحاطها بإطار نورانى روحانى وهى صورة يبدو فيها الإيمان واالقرآن متلازمين بحيث لا يمكن الفصل بينهما .

ومفهوم القرآن عند إقبال أنه رسالةالحياة بكل ما تنطوى عليه الكلمة من معنى ففيه من الحكم والأحكام ما يصلح الدنيا بالدين ، فيه الدعوة إلى التفكر والتدبر ، والحث على السعى والعمل والزجر عن التواكل والكسل، والأمر بالضرب فى مناكب الأرض والأكل من طيبات الرزق . وأصل الخلاف بين إقبال والمتصوفة هو نعيه عليهم قطعهم للأسباب بينهم وبين الحياة التى يرونها شراً محضاً ينبغى التحرز منه والبعد عنه . ولذلك انطووا على أنفسهم فى الحالم من عزلتهم ، ليكونوا بمنأى عن حياة تموج حولهم . وبذلك أنكروا ذاتهم وآثروا الفناء فى البقاء . وإقبال يرى فى ذلك ما يتعارض مع أمر القرآن ونهيه ومنفهم حقالفهم، أدركحتمية خوض الحياة بحراًلجياً إلى أن يبلغ البعيد من ساحله ، وعليه أن يتزود من القرآن لتلك السفرة التى ينتقل بها من دار الممر إلى دار المقر ، ويغلظ االلائمة على من فهموا القرآن فهماً سقيما فتوهموا دعوته إلى حياة العاجزين المتبطلين المتخلفين عنركب يمضى قدما إلى الأفضل ويبحث دوماً عما تصلح به دنياه وأخراه وفى ذلك يقول

لمـــلاّ أو لصوفى أســـير
وفى القـــرآن للعيش الكثير !
من الآيات مـا أدركت شيئاً
و من (ياسين) [1]بغيتك الحفير

فالقرآن عند إقبال يدعو الناس إلى أن يحيوا حياة حرة كريمة وهو يتهكم مرير التهكم بمن لا يفهمون آياته البينات علىماينبغى لها أن تفهم ، ويضرب المثل بمن لا ينظرون إلى سورة يس لتدبر ما فيها حق التدبر ولا يهمهم منها إلا أن يقرأوها فى المقابر. وفى رباعية تالية يشبه القرآن بالمرآة المجلوة ، ويرغب إلى المسلم أن يعلقها أمامه ليداوم النظر فيها ليشاهد سوراً لكل معانى الحيـــاة .

فهو يفهم القرآن ذلك الفهم الذى يستقيم فى العقل وينطبق على الواقع ولا ينصرف به الكلام عن معناه ، وذلك ما بعثه على الوقوع فى الشيخ والصوفى والتسميع بهما فى سخرية وتجريح . وقد أراد بالشيخ ذلك المتزمت الذى يفهم القرآن على ما يعرف بالتفسير المأثور وحده . فيتلقاه بالسمع بكيفية ببغاوية . دون أن يردد فيها نظراً

---

(١) به بند صوفى وملا اسيرى ـ حيات ازحكمت قرآن بگيرى
به آباتش تراكارى جزاين نيست ـ كه ازياسين او آسان بميرى
(ارمغان حجاز ص ٩٥٥ كليات)

ولا يجيل فيه فكره ليتبين الصحيح من المعنى كما يريد بالصوفى ذلك الذى يفسر القرآن تفسيراً إشارياً يطوع فيه معانيه لتوضيح رمزيات التصوف ويستكرهها على رغبته فى التمثيل والتخييل حتى يخرج بالتفسير عن جادة الصواب ويعمه فى شبهات وظلمات لا يستبين فيها أوجه الحق . ولا غرو فإقبال لا يميل إلى الصوفيه فى شطحاتهم وإفناء ذاتهم وقد ذكرهما جميعاً فى قوله :

عـــلى الصوفى والمـــلا سلامى
كـــلام الله قالا بالتمـــــام
ولكـــن أولا مـــا أولاه
فحـــار الروح بل خير الأنام (١)

وإقبال يميل إلى نوع ثالث من التفسير وهو المعروف بالعقلى ومن أشهر وأسير كتبه مفاتيح الغيب للرازى المتوفى عام ٦٠٦ هجرية وقد خص هذا المفسر بالذكر وهو يقول :

عن الـــرازى كتاب الله فـــافهم
ومنـــه النـــور خذ فالليل أظـــلم
ولـــكن لى كلام فيـــه فانظـــر
أنحيـــا بالفـــؤادوماتضرم!؟(٢)

فهذا النوع من التفاسير يرسو على أساس من الاجتهاد بالرأى وهو ظنى وليس بقطعى ، فالمفكرون على تفاوت فى العلم والعقل فما بد من أن يتخالفوا شيئاً وليس بمستبعد ولا مستغرب أن يوجد الراجح والمرجوح غير أن مـــرد كلام إقبال إلى علة وراء ذلك ؛ فإقبال يقول بالعقل والقلب ويصدر عنهما متلازمين فى تفكيره وشعوره وتعبيره. وآية ذلك آخـــذه بخيال الصوفية ورمزيتهم وروحانيتهم يمزجها بتفكيره وتعبيره . وإن ناقضهم وعاندهم فى كثير ، فالعقل والروح عنده فى كفتى ميزان بل هما لديه جناحان يحلق بهما فى الآفاق ما شاء الله أن يحلق .

أما رأيه هذا فى تفسير الرازى فله مايؤيده من قول الغزالى إن الناس ينقسمون فى طريق الدين إلى من يعجز عن مجاوزة التقليد فى خطوة . فحاجته ماسة إلى أن يسمع فى كل خطوه نصاً من كتاب الله . أما إذا أعوزه ذلك فإنه يحار فى أمره ، وعمره قصير وإن طال وخطاه لا تبلغ به غايته . وآخر شرح الله للإسلام صدره فهو من ربه على نور يتنبه بأدنى إشارة إلى سلوك طريق وعـــرة

---

(١) زمن برصوفى وملا سلامى كه پيغام خدا گفتندمارا
ولى تاويلشان درحيرت انداخت خدا وجبرائيل ومصطفى را
(ارمغان حجازى ٩٥٦ كليات)

(٢) زرازى حكمت قرآن بياموز چراغى ازچراغ او بيافروز
ولى اين نكته را ازمن فراگير كه ميتوان زيستن بى مستى وسوز
(ارمغان حجاز ص ٩٥٦ كليات)

وقطع عقبات . ويشرق فى قلبه نور القرآن والإيمان ، ولشدة نور باطنه يجتزىء بأدنى بيان ، وهذا ليس فى حاجة إلى نص منقول فى كل واقعة.

فهذا قدر من كلام الغزالى أورده فى مقام التوبة وإنما أوردناه هنا لتوضيح رأى إقبال . وقد شبهنا ما يراه الغزالى تقليداً بما نـــراه اجتهاداً بالرأى لدى الرازى ، يأخذ به القارىء فكأنه يقلده فالغزالى يرجح القلب على العقل فى فهم القرآن الذى يراه نوراً يغمر الله به قلب المؤمن ويصف من يقتصر على العقل وحده بالعجز عن بلوغ الغاية .

وهذا جلال الدين الرومى يدلى برأى نجعله موضع نظر إلى جانب ما عرفناه من رأى إقبال والغزالى . فهو لايكتفى بالغض من العقل وتعجيزه ونسبه إلى عدم الاقتدار بل يتجاوز هذا كله إلى مثل قوله (المسعود عالم السر من يعلم — فإنما الفطنة من إبليس والعشق من آدم [٢] :

فإقبال يقف بين الغزالى وجلال الدين الرومى موقف الحكيم الذى يختار لنفسه من كل شىء أحسنه . وهو يزن حكمه متخذاً فيه جانب الحيطة فما عاب الرازى ولا قبح منهجه فى التفسير بل أشار إلى مثال يوضح به الخاص من وجهة نظره .

ويجرى هذا المجرى موقفه من التصوف فما رفضه رفضاً مطلقاً ولا جرحه فى كل جانب من جوانبه . فشعره مفعم بمصطلحاته ويتخذ من جلال الدين الرومى له شيخاً مرشداً إلا أنه يأبى من غلاة الصوفية إفناء الذات الإنسانية فى الذات الإلهية وعنده أن للإنسان فى ذاته قدرة لا سبيل إلى تحديدها ويهيب بالإنسان أن يكرم ذاته ويستمد منها ما ينفعه فى معاشه ومعاده . كما ينعى على المتصوفة سلبيتهم وانزواءهم عن معترك الحياة، ويراهم فى ذلك مخالفين لمـا أمر القرآن به .

وجملة القول أنه طارح من التصوف جانباً عقلياً لايميل إليه آخذ جانباً روحياً كان شديد الإعجاب به . ويؤيد ما نذهب إليه فى هذا الصدد قوله فى مقدمة كتابه (تجديد الفكر الدينى فى الإسلام) إن الصوفية بالمعنى الحق قد أبلوا بلاء حسناً ولا ريب فى تشكيل وتوجيه الأخذ بالتجربة الدينية فى الإسلام ، غير أن من خلفوهم ومثلوا مذهبهم عجزوا العجز كله عن تلقى إلهام جديد وتجربة أخرى من الفكر الحديث ، وذلك لجهلهم كنه العقل فى أيامنا هذه . والقرآن كتاب يؤكد العمل قبل تأكيده للفكرة [٣] :

---

(١) الغزالى : الأحياء ص ٤ ج ٣ (القاهرة ١٢٢٦)

(٢) داند كونيك بخت ومحرم است زيركى زيليس وعشق از آدم است

3. Iqbal : The Reconstruction of Religious Thought in Islam P. 5 (Lahore 1977).

وإقبال يدعو إلى النظر فى القرآن وتدبره ، فعبر عن إعجابه بمن جعله مرشداً له وإماماً . وهو يعرض به فى كلامه عن شرف النسا ، وهى حفيدة حاكم من حكام البنجاب على عهد الإمبراطور المغولى بهادر خان ، أقامت فى قصر لها منصة كانت تتلو القرآن عليها كل صباح وإلى جانبها سيف . ولم تخل المنصة من المصحف والسيف يوما . كما أوصت بدفنها بعد موتها مع مصحفها وسيفها فى ذلك الموضع .[1]

والجمع بين المصحف والسيف أكيد الدلالة على الدين الحنيف ونشره فى الآفاق لأن إقبالا يختم قوله فى هذا الصدد بأن طائفة السيخ أبعدت المصحف والسيف عن البنجاب. وهذا ما قضى فيه على الإسلام قضاء مبرماً.

ومن قول إقبال فى هذا من شأن القرآن عند شرف النسا :

تقرأ القرآن نفساً طهرت
برهة فى تركه ما فكرت
تحمل المصحف والسيف الحساما
إنها السكرى وما ذاقت مداما
خلوة سيف وقرآن الصلاة
حبذا عمر تقضى فى التقاة
آخر الأنفاس وهى تحتضر
أمها خصت بملتاع النظر
ثم قالت : إن عرفت الآن سرى
شاهدى ما فى يدى أو ما بخصرى
قوتان بهما أيد الثبات
محوراً كانا لدوم الكائنات
قبل موتى ذاك منك مطلبى
مصحفى والسيف منى قربى
كل هذا من كلامى فلتعى
لا تزينى فى التراب مضجعى
الكتاب والحسام حسبنا
بهما يزدان حقاً قبرنا[2]

أما إذا بذل النصح لولده جاويد ، ووقف منه موقف الواعظ الذى آتاه الله الحكم ، فتتوارد على خاطره شتى المثل والقيم ليعرضها على ولده ، ويرغب إليه أن يسمعها

---

1 - Bausani : Poema Celecte. P. 146 (Bari 1965).

(١) تاز قرآن باك من سوزد وجود — از تلاوت يك نفس فارنج نبود
درکرتبغ دورو قرآن بدست — تن بدن هوش وحواس الله مست
خلوت وشمشير وقرآن نماز — ای خوش آن عمری که رفت اندار نیاز
برلب أوجون دم آخر رسيد — سوی مادر ديد ومشتقانه ديد
گفت أکراز رازمن داری خبر — سوی این شمشیز واین مصحف نگر
این دوقوت حافظ يکدبگراند — کائنات زندکی راحوراند
وقت رخصت باتودارم أین سخن — تبغ وقرآن راجدا ازمن مکن
دل بأن حرفی وکه هی کرویم بنه — قبر من بی کنبد وقندیل به
مؤمنان راتبغ باقرآن بس است — تربت ماراهمين سامان بس است

جاود ناعمه (١٧٢ - ١٨٢) لاهور

منه ويعيها عنه فهو من القرآن على ذكر دائم لا من حيث إنه أساس الدين ليس إلا بل لأنه إلى ذلك كتاب دنيا وكتاب علم لأنه يدعو إلى طلب المعرفة والاحتكام إلى العقل . فإذا تحدث عما آلت إليه حال القوم فى العصر الحاضر من تهافت على حطام الدنيا وازورار عما يأمر به الدين ويستلزمه الخلق القويم ، شبه هؤلاء القوم بركب تفرقت السبل بهم لتفرق الأهواء لديهم فمضوا سراعا لا يلوون على شىء وهم فى عجلتهم وغفلتهم لا يملكون أزمة نياقهم التى شردت بهم فى كل صوب فتنكبوا جادتهم وأعجزهم أن يبلغوا غايتهم . وإقبال يعيب هذا من جهالتهم ويردها إلى أنهم وهم أهل القرآن لم يتأدبوا بأدبه ولم ويرخوا إليه نظرة ولو فعلوا لعرفوا أن القرآن حاثهم على التفكر والتدبر . والعجب آخذ منه كل مأخذ لأن صاحب القرآن لم يدرك ضرورة طلب المعرفة بذوقه لا بعقله وحده . وهنا يبدو إقبال بجانبيه العقلى والروحى لأنه يضرب على قالب المتصوفة الذين يدركون الحقيقة بالذوق والشعور أى بهاتف من أعماق قلوبهم .

صاحب القرآن ما ذاق الطلب !
(العجب ثم العجب ثم العجب) (١)

وتتشعب به شجون الحديث فى هذا الفصل الذى يوجه الخطاب فيه إلى ولده ناصحاً حتى يذكر الصوفية أو الغلاة منهم خاصة الذين شدد النكير عليهم فى مواضع من كتبه . وهنا يقول :

إن للقرآن علما ليس يعرف
والذئاب إنهم أهل التصوف (٢)

ولقد عاب الصوفية ابن الجوزى من قبل فى قراءة القرآن . فقال إن منهم من يقرأ القرآن فى كل يوم أو فى كل ركعة . والترتيل والتثبت أحب إلى العلماء . قال صلى الله عليه وسلم لا يفقه من قرأ القرآن فى أقل من ثلاث (٣)

وما دام إقبال يقرن ذكر القرآن بالصوفية فهو يشير ضمنا إلى من أول آيات القرآن على خلاف ظاهرها ، وهو تأويل تمليه عليه جذبات وشطحات ، ومثال ذلك تفسير التسترى لقوله تعالى (إن أول بيت وضع للناس) هو الرسول يؤمن به من أثبت الله فى قلبه التوحيد

فمثل هذا الفساد فى الفهم مؤدحتما إلى فساد العلم : كما أن هذا من ملحظ إقبال يلفتنا إلى مذهبه فى تفسير القرآن وفهمه ، بل دعوته إلى الأخذ بنوعية هذا الفهم .

---

(١) صاحب قرآن بى ذوق طلب العجب ثم العجب ثم العجب .
(٢) عالمان از علم قرآن بى نياز صوفيان درنده كرك ومودراز .
(٣) ابن الجوزى : تلبيس ابليس ص ١٤٢ (القاهرة ١٣٦٨) .
(٤) التسترى : تفسير القرآن العظيم ص ٤١ (القاهرة) .

فإقبال يفهم القرآن على ما ينبغى ؛ فما كان ذا كمن زاغ به هواه ، فصرف الكلم عن معناه وهو يضمن شعره القرآن ليكون منه على حجة ليس بعدها من حجة مثال ذلك أنه احتج به وهو يبدى رأيه فى جهارة فى أن الله كرم الإنسان ورفعه بين الخلق مكاناً علياً ، مريداً بذلك أن يغازض من الصوفية من أراد للانسان المحق والفناء ، وإكرامه بضياعه فى الذات الألهية ضياع القطرة فى البحر ، لأنه يريد له أن يعتز بذاته ويفصلها تمام الفصل عن ذات الله ، وهو يذكر هذا من رأيه فى توكيد حتى حين يناجى ربه متضرعاً فيقول :

آيــة التسخير فيمن أنزلت
هــذه الافلاك فيمن حيرت
(علم الأسمــاء) سر من دراه
أسكرت من خمرهــا ؟ أو من سقاه
مــن جميع الخلق منذا تصطفى
فإليــه بحت بالسر الخــفى
قد رشقت الصدر منى بالسهام
حرف (ادعونى) لمن هذا الكلام [1]

فهذه الأبيات فيها الدليل كل الدليل على ما يريد إقبال أن يذكره ليذكر به إيثار الله الإنسان بما لم يؤثر به ســواه . فالإشارة فى البيت الأول إلى قوله تعالى فى سورة لقمان (ألم تروا أن الله سخر لكم ما فى السماوات وما فى الأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة) أى أن الله سخر لبنى آدم الشمس والقمر والنجوم والثمار والانهار والدواب لينتفعوا بها .

وفى البيت الثانى مما جاء فى سورة البقرة عن أن الله خص الانســان بتعليمه اسمــاء المسميات كلها . أما البيت الأخير فمن آيــة فى سورة غافر هى (قال ربكم ادعونى أستجب لكم) أى اعبدونى أثبكم .

فإشارة إقبال إلى ما جاء فى القرآن ، وتضمينه شعره شيئاً من آياته موافق للمقام ولا ريب ، وما كان له أن يستشهد على صحة دعواه بأصح وأوضح من هذا وما بيده برهان أقطع . وحقيق بالذكر أنه لم يحمل القرآن ما لا يحتمل من معنى .

وإقبال لا يكاد يقف عند حد فى الإشادة بفضل الإنسان وتبيان ما حباه الله به من قدرة ليست لسواه ، وهو يلتمس كل سبيل إلى هذا ، ولا يجد خير دليل يقوم على صحة دعواه الا فى آيات الذكر الحكيم . وقــد

---

(١) آية تسخير اندر شان كيست — اين سپهر نيلكون حيران كيست
رازدان (علم الا سما) كه بود — مست آن ساقى وآن صهبا كه بود
پرگزيدى ازهمين عالم كرا — كردى ازراز درون مجرم كرا
أى تراتيرى كه مارا سينه سفت — حرف (أدعونى) كه گفت وباكه گفت (جاويد ناعمة ٢ و ٣)

يجعل العلم نعمة أسبغها الله عليه ، والعقل قدرة ميزه بها كما فى نحو قوله :

قولـــه (إلا بسلطان) تذكر
أو قمت فى الوحل كالذر المبعثر(١)

وهذا من قوله تعالى فى سورة الرحمن (يامعشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان) فإقبال يريد أن يثبت أن قدرة الإنسان تتأتى له بطاعة الرحمن وهى قدرة تعددت جوانبها فالمراد بالسلطان القوة ، وأنى لهم ذلك ، أو إن استطاعوا أن ينفذوا ليعلموا ما فى السموات والأرض . فليفعلوا ولكنهم لا ينفذون ولا يعلمون إلا ببينة نصبها الله فيعرجون عليها بأفكارهم .

وتحت عنوان (محكمات العالم القرآنى) فى كتابه (جاويد نامه) يضمن إقبال بيتا من الشعر جزءا من آية قرآنية يستمد منها دليلا على شرف الإنسان : أو على التحديد ما يعرف عندالصوفية بالإنسان الكامل الذى تحدث عنه أول من تحدث صوفى من أهل القرن السابع هو محيي الدين بن عربى فقال إن الله ما جمع لآدم بين يديه إلا تشريفا لأنه جمع بين الصورتين صورة العالم وصورة الحق ، وما كان آدم خليفة الا بصورة من استخلفه فيما استخلفه فيه ، وما صحت الخلافة الا للإنسان الكامل الذى أنشأ الله الظاهر من صورته من حقائق العالم وصوره ، أما صورته الباطنة فكانت على صورة المولى عز وجل (٢)

يقول إقبال :

قول (انى جاعل) تقـديره
بين أرض وســما تفســيره
يالله بحرا بلا شط يفور
قلبه قد أغرقت فيه الدهــور
إنمــا الإنسان دنيا قــد وسـع
هذه الدنيا لـه لم تتســع(٣)

فقد أورد ما جاء فى سورة البقرة من قوله تعالى (وإذ قال ربك للملائكة إنى جاعل فى الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحــن نسبح بحمدك ونقدس لك، قال إنى أعلم مالا تعلمون) ولقد فسر معنى استخلاف آدم فى الأرض بأنه سيكون

---

(١) نكتؤ الا بسلطان بادكير ورنه جون مور وملخ در كل بمير
(جاويد نامه ص ١٥)

(٢) محى الدين بن عربى : فصوص الحكم ص ٥٥ (القاهرة ١٩٤٦)

(٣) حرف إنى جاعل تقدير او از زمين تا آسمان تفسير او
من جه گويم ازيم بى ساحلش غرق اعصار ودهور اندردلش
آنجه در آدم بگنجد عالم است آنجه در عالم نگنجد آدم است (جاويدنامه٦٣-٦٤)

له السلطان عليها ، وسيتصرف فى موادها ليجعلها ملائمة لحاجاته (١)

فهذا المفهوم مؤيد لمبدأ إقبال الذى لايبغى عنه حولا ، ولا يكف عن الدعوة إلى العمل به وهو حتمية أن يعمل الإنسان فى دوام ويحقق النفع لنفسه ولغيره ، ويجعل زمام مصيره فى يده ، وأن يربأ بنفسه عن النكوص أمام كل قوة تحبط مسعاه أو تحول بينه وبين ما يتمناه ، فإذا وقب الليل وطمس الوجود بظلامه ، فقبيح به أن يرزح تحت وطأته ويضعف من حركته ، بل عليه أن يدفع هذا الظلام عنه بمصباح منير يبدد الظلمات . والإنسان سيف لله وذلك الكون من قد رآه . وهو يشير إلى قصص القرآن ليضرب المثل فمن معانى المثل فى القرآن قصص الأولين فى سالف الدهر التى تروى على أنها عبرة لكل متفكر متأمل(٢)

فنى استشرافه للشرق غداً جديداً سعيداً يشبه الشرق بيوسف بعد خروجه من الجب ، فيذكرنا بقصته فى القرآن : وفحواها أن إخوته الذين غاظهم منه أن يؤثره أبوه عليهم ذهبوا به وجعلوه فى الجب ثم تركوه فيه وقدموا على أبيهم يبكون مدعين أن الذئب أكله ، ومرت بالجب قافلة فلما أدلوا الدلو فى الجب تعلق بها يوسف وأنجاه الله من الهلكة .

كما شبه بإبراهيم عليه السلام الذى جهد الجهد كله لهدايـــة قومه ولكن بلا طائل ، وهدده أبوه بالرجم كما ألقى فى نار كانت عليه برداً وسلاماً فارتحل عن أرضه إلى فلسطين ومصر ، وبذلك فر بإيمانه عن ديار الكفر .

فهو يشبه الشرق فى بيتين بهذين النبيين ، ووجه الشبه أن أولهما تربص به عداته وآذوه إلا أن الله أنجاه من محنته ونفس عنه الكرب . أما الثانى فضاق ذرعاً بكفر القوم من حوله وضلالتهم ، فهجرهم وقطع ما بينه وبينهم : وفى هـــذا إيماء إلى رأى إقبال فى ضرورة أن يستمسك المسلمون بعروة الدين الوثقى ، وبها يصلح أمرهم وينكشف عنهم ضرهم . قال إقبال :

يظهر الياقوت من صخر الطريق
يوســـف يخرج من جب عميق
ويولى عـــن ديار مـــن كفر
ويرى عن ذلك الكفر المفر(٣)

ويعقب على ذلك محبذاً صنيع قوم يشكلون لهم ذاتاً خاصة بهم دون غيرهم :

---

(١) عبد الوهاب النجار : قصص الأنبياء ص ١٦ (القاهرة ١٩٣٦)
(٢) على اصغر حكمت : امثال قرآن ص ١٢٠ (تهران ١٣٢٣)
(٣) لعلها از سناك ره آيد برون يوسقان او زجه آيد برون
رخت بندد ازمقام آزرى ناشود خودكر زترك بت كرى
(جاويد نامه ٣٦ — ٣٧)

كما يومىء إلى قصة يوسف مع أبيه حين ارسل إليه قميصه من مصر فلما وجد فيه ريح يوسف ارتد إليه بصره . وقد طرق شعراء الصوفية هذا المعنى ليرمزوا به إلى تلقى الإلهام من عالم الغيب إلا أن إقبالا يريد بذلك نقيض ما يريد الصوفية لأنه رمز به إلى طلب المعرفة والثقة فى الذات واستمداد كل قدرة خفية منها :

ومن ريح القميص فنل نصيباً
تنسم من ضفاف النيل طيباً
وذاتك نيرين بها تصيد
ومن تدبيرها لها القيود (١)

كما أشار إلى ما ورد فى سورة النمل من خبر سليمان مع النملة وهو يأتى بجديد فى غرضه من تلك الإشارة فقد تداول ذكرها كثير من شعراء الفرس فى مقام الحكمة والموعظة كالنهى عن ظلم الضعيف والمفارقة بين العظيم والحقير . ولم نجد من ضرب المثل بها كإقبال الذى أراد أن يدلى برأيه فى الوجود ومظاهر الموجودات ويؤكد أثر العقل فى ما يقع تحت الحس : ويعبر عن إعزازه للإنسان الذى يحمل العالم طابعه حتما ، بل ويتجاوز ذلك إلى قوله إن وجود الإنسان فى الدنيا هو قوام تلك الدنيا ؛ :

تجلينا به الدنيا تكون
بنا نور تجلى أو رنين
ومنها العون فى اللأواء جرب
بأحوال لها نظرا فأدب
وأيقن أن آساد الفلاة
أرادت عون نمل للنجاة(٢)

ولإيضاح هذا من كلامه نقول إن النملة لما شاهدت جنود سليمان فرت منهم فتبعها نمال غيرها وصاحت محذرة منبهة وكأنها بذلك أنجت النمال كما أنجت جنود سليمان مما كادوا يرتكبونه وهم لا يشعرون وهو سحق تلك النمال (٣)فعنده أن الإنسان فى مظهر ضعفه وحقارته والكون فى مظهر عظمته هما النملة وسليمان ولكنها على البادى من ضعفها وهوان شأنها قامت بما لا يقوى عليه من بلغ الغاية فى قوته وقدرته. أما بعد أن سقنا هذه الأمثلة من شعر إقبال وهو قل من كثر إثر تمهيد ألقينا فيه نظرة عجلى على ما أوردنا من أمثلة من شعر الفرس والترك . فقد اتسعت

---

(١) نصيب توزبوى بيرهن كير
خودى صياد مه وتحجير ش ومهر
بكنعان نكهت از مصر ويمن كير
اسير بند تدبير ش مه ومهر
(كلشن راز جديد ١١٢)

(٢) جهان غير ازتجلى هاى مانيست
تو هم أز صحبتش يارى طلب كن
بقين مى دان كه شيران شكارى
كه بى ماجلوه نور وصدا نيست
نكررا أز خم وپيچيش أدب كن
درين ره خواستند أز موريارى
(كلشن زاز جديد ص ١١١ — ١١٢ كليات)

(٣) البيضاوى : تفسير القرآن ص ٠٠ (القاهرة)

أمامنا منادح النظر ، وتأتى لنا بالمقارنة أن نتبين الفارق بين إقبال وغيره من شعراء الفرس والترك . فقد حث أقبال على النظر فى كتاب اللهحق النظر وتدبر مايستقيم فى العقل من معانى آياته المبينات وذكر فى توكيد بأنه أساس الإسلام الذى ينبغى أن يرسو عليه كل فكر وعمل لدى قوم يطلبون صلاح أمرهم فى أولاهم وأخراهم . وما كانت هذه الدعوة لدى غيره من شعراء الفرس والترك القدامى . وإعجابه بشرف الأنسان يقوم برهاناً على هذا . أما دعوة داعيهم إلى النظر فى بطن القرآن لا إلى ظهره فباعثه عليها استنباط احكام التصوف الداعية إلى رفض الدنيا على أن كل ما فيها شر محض وذو الحظ العظيم فيها هو من يموت قبل أن يموت ! . وتلك دعوة يرفضها إقبال ويكرهها كراهة شديدة لأنها فى نظره تعاند صريح القرآن . وضمن هؤلاء الشعراء أشعارهم آى القرآن تأييداً لمذهب صوفى أو كلامى أو ما يجرى هذا المجرى فتعسفوا وتكلفوا وحملوا الكلام ما لا يحتمل من معنى يعارض العقل مع النقل ، وأصبح بينهما من التباعد ما لا تقارب معه . ومنهم من اعتمد فى الفهم على ما ينقدح فى القلب من نور الإلهام وحده : ولإقبال فضل عليهم فى الأخذ بالعقل والروح معاً . ولم يصادف تفسير الرازى هوى فى نفسه لأن الرجحان عنده كان للعقل وحده :

وهنا وقفة لنا لنقف موقف الحذر والحيطة ونقول إن حكمنا بفساد التأويل والفهم لا ينسحب على أصحاب المذاهب والفرق جميعاً ، بل على بعضهم ممن ركب الشطط ولج فى الشطح .

وحاشا لإقبال أن يقحم الآيات فى شعره ليمتدح أحداً كائناً من كان ، كما صنع أبوالفرج الرونى مثلا فخرج بذلك علىمألوف الشعراء الذين يضمنون القرآن شعرهم تأييداً لحكمة أوتذكيراً بعظة أو استشهادا على فكرة بعينها .

ولقد لف لف القدماء فى التلميح إلى القصص القرآنى ، بيد أننا نجد بينه وبينهم وجها للخلاف لأنه أدرك من بعضه ما لا يدركون واستشهد به على غير ما يستشهدون .

وحقيق بالذكر أنه لا يركن إلى تأويل ولا تحييل بل فهم فهما صحيحاً ما فسره تفسيراً صريحاً :

ثبت بمراجع البحث

فى العربيـة :

د . إبراهيم شتا : حديقة الحقيقة لسنائى (رسالة بمكتبة جامعة القاهرة) .

ابن الجوزى : تلبيس إبليس (القاهرة ١٣٦٨) .

ابن الجوزى : المدهش (القاهرة ١٣٤٨).

أبو طالب المكى : قوت القلوب (القاهرة ١٩٦١) .

البيضاوى : تفسير القرآن (القاهرة) .

التسترى : تفسير القرآن العظيم (القاهرة) .

الجيلانى : الإنسان الكامل (القاهرة) .

الراغب الأصفهانى : المفردات فى غريب القرآن (القاهرة) .

الشاطبى : الموافقات (القاهرة) .

الطوفى البغدادى : الإكسير فى علم التفسير (القاهرة١٩٧٧) .

الغزالى : إحياء علوم الدين (القاهرة ١٣٣٦) .

جلال الدين السيوطى : الإتقان (القاهرة ١٩٣٥) .

د . حسين مجيب المصرى : تاريخ الأدب التركى(القاهرة ١٩٥١) .

د . حسين مجيب المصرى : فى الأدب العربى والتركى (القاهرة١٩٦٢)

صدر الدين القنوى : إعجاز البيان فى تأويل القرآن (القاهرة ١٩٦٩)

عبد القاهر الجرجانى : دلائل الإعجاز (القاهرة ١٣٣١)

عبد الوهاب النجار : قصص الأنبياء (القاهرة ١٩٣٦)

محيى الدين بن عربى : فصوص الحكم (القاهرة ١٩٤٦)

مصطفى صادق الرافعى : إعجاز القرآن (القاهرة ١٩٢٨)

فى الفارسية :

ابو الفرح رونى : ديوان ابو الفرج رونى (مشهد ١٩٤٧)

إقبال : كليات إقبال (لاهور)

إقبال : جاويد نامه (لاهور)
د . ذبيح الله صفا : تاريخ ادبيات در ايران (تهران١٣٣٩)
روشندل : مقدمه گلشن راز (تهران ١٣٥١)
سنائى : حديقة الحقيقة (تهران ١٣٣٧)
عطار : إلهى نامه (طهران ١٣٥١)
على اصغر حكمت : امثال قرآن (تهران ١٣٢٣)
فروز انفر : شرح احوال عطار نيشابورى (تهران ١٣٥٣)
د . معين : مزديسنا وتأثير آن در ادبيات پارسى (تهران ١٣٢٦)

فى التركية :

Agah Sirri : Nabinin Surnamesi (Istanbul)

كيب : تاريخ اشعار عثمانيه (ليدن ١٩٠٩)
نابى : ديوان نابى (استانبول ١٢٩٢)
نسيمى : ديوان نسيمى (استانبول ١٢١٨)

فى الانجليزية :

Iqbal : The Reconstitution of Religious Thought in Islam (Lahore 1977).
Iqbal Ali Shah : Islamic Sufism (London 1933).

فى الفرنسية :

Emile Dermenghem. L'E loge du Vin
(Paris 1931).
Lammens : L'Islam, Croyances et Institutions (Beyrouth 1926)
Massignon : Essai sur les Origines du Lexique Technique de la Mystique Musulmane (Paris 1954).
Renan : Histoire Generale des Langues Semitiques (Paris 1901)

فى الألمانية :

Goldzieher : Die Richtungen der islamischen Koranuauslegung (Leiden 1952).
Schimmel : Der Koran (Stuttgart 1960).

فى الايطالية :

Bausani : Il Peoma Celeste (Bari 1965).

حسين مجيب المصرى

أصحيحٌ اطِّراد فُعُولٍ مصدرًا لِفَعَلَ اللازم ؟

دراسة لغوية بالإحصاء الرياضى

للدكتور جميل الملائكة

هذه دراسة لموضوع لغوى على هَدْى نظرية الاحتمال الإحصائى . وقد تناقل النحاة منذ ظهور علم النحو أن (فُعُول) يطَّرد مصدرًا لِـ (فَعَلَ) اللازم ، مع استثناءات معينة . وكانت ملاحظة كثرة مايشذُّ عن هذه القاعدة هى التى دعت الباحث إلى تناول الموضوع بطريقة علمية للتوصل إلى قول قاطع فيه . وهو يبدأ بعرض لأقوال النحاة المتواترة فى هذا الاطراد ، واستعراض لما قيل فى معنى المطَّرد والغالب والقليل والنادر ، ثم يتخذ عيّنة عشوائية من هذه الأفعال بحجم كاف لجعلها ذات دلالة إحصائية مقبولة ، فيُحصى فيها نسبة ما جاء له مصدر على (فُعُول) وما جاء له مصدر على (فَعْل) . وبعد إجراء تخمين للمجموع التقديرى لمثل هذه الأفعال فى المعجم يُجرى تخمينًا للمصادر من كلا النوعين فيه ، وكذلك حسابًا للخطإ المحتمل فى هذا التخمين بحدّ من الثقة مقداره ٩٩ ٪ بحسب نظرية الاحتمالات . ولقد ظهر أن ٩٣ ٪ من هذه الأفعال جاء له مصدر إما على (فَعْل) أو (فُعُول) أو كليهما ، بخطإ محتمل لايتجاوز ± ٥٪ ، أى أن ماليس له مصدر على أى منهما نادر (باستثناء ما اقتُصِرت مصادره على أوزان بعينها لامتناع أوتقلب أو أداء أو صوت أو سير وهو قليل) . وكذلك أثبتت الدراسة أن (فَعْل) هو الغالب فى مصادر (فَعَلَ) اللازم فى المعجم ، وأن نسبة ترددِه هى ٧٦ ٪ ، بخطإ محتمل لايتجاوز ± ٨٪ ، بالمقارنة إلى نسبة تردد (فُعُول) البالغة ٣٥٪ فقط ، بخطإ محتمل لايتجاوز ± ٩٪ .

١ ـ فى الكلام على أبنية المصادر يقول ابن مالك[١] فى مصدر الفعل الثلاثى اللازم المفتوح العين :

(وفَعَلَ اللازم مثل قَعَدا
له فُعُولٌ باطِّرادٍ كغدا)

ويستثنى من ذلك ما جاء على فِعال لامتناع ، كالإباءِ ، وفَعَلان لتقلُّب كالغليان وفُعال لداءٍ أو لصوت، كالزُّكام ، والصُّراخ وفَعِيل لسير أو لصوت ، كالرَّحِيل ، والصَّهِيل .

فالفُعُول عند ابن مالك مطَّرد فى مصدر فَعَلَ اللازم . وابن مالك لايخالف فى هذا ما عليه جمهور النحاة :

فهذا سيبويه يبدأ كلامه على بناءِ الأفعال الثلاثية ومصادرها بالمتعدى[٢] ، وبعد أن يستوفيه ينتقل إلى اللازم ـ فيقول[٣] : « وأما كل عمل لم يتعدّ إلى منصوب فإنه يكون فعله على ما ذكرنا. . . والمصدر يكون فُعُولًا . . . نحو قعد قعودًا وجلس جلوسًا وسكت سكوتًا » ثم يقول مستدركًا[٤] : « وقد قالوا فى بعض مصادر هذا فجاءُوا به على فَعْل كما جاءوا ببعض مصادر الأول على فُعُول . . . نحو سَكَتَ سَكْتًا وعَجَزَ عجْزًا » ، ويقول فى الآخر[٥] : « ... وهذه الأشياءُ لاتضبط بقياس ولا بأمر أحكم من هذا » .

فالفُعُول إذن عند سيبويه هو القياس الأحكم ، على الرغم من وجود بعض الشواذ.

وفى الكلام على أبنية مصادر الثلاثى يقول ابن هشام فى مصدر اللازم[٦] :

« وأما فَعَلَ القاصر فقياس مصدره الفُعُول كالقعود والجلوس . . . إلا إن دلّ على امتناع . . . إلخ » . ثم يقول : « وماجاءَ

---

(١) ألفية ابن مالك فى النحو والصرف ، دار الكتب المصرية ، ط ٣ ، ١٩٣٢م ، ص ٤٠
(٢) الكتاب ، لسيبويه ، طبعة بولاق ، ١٣١٧هـ ، جـ ٢ ، ص ٢١٤
(٣) الكتاب ، جـ ٢ ، ص ٢١٦
(٤) الكتاب ، جـ ٢ ، ص ٢١٦
(٥) الكتاب ، جـ ٢ ، ص ٢١٨
(٦) أوضح المسالك الى ألفية ابن مالك ، لابن هشام طبعة دار الفكر ، بلا تاريخ ، ص ٤٣٦ ـ ٤٣٧ .
(٧) أوضح المسالك ، ص ٤٣٧

مخالفًا لما ذكرناه فبابه النقل ، كقولهم... فى فَعَل القاصر : مات موتًا . . . » .

فالفُعُول عند ابن هشام أيضًا هو قياس لمصدر فَعَلَ اللازم .

ويقول ابن عقيل[1] : « يأتى مصدر فَعَلَ اللازم على فُعول قياسًا فتقول قعد قُعُودًا وغدا غُدُوًّا » . ثم يقول فى شرح (وما أتى مخالفًا . . .[2]) : « يعنى أن ما سبق ذكره فى هذا الباب هوالقياس الثابت فى مصدر الفعل الثلاثى ، وما ورد على خلاف ذلك فليس بمقيس بل يقتصر فيه على السماع » .

فالفُعُول عند ابن عقيل هو القياس الثابت فى مصدر فَعَلَ اللازم .

ويشرح الأشمونى ضوابط ابن مالك ، إلى أن يأتى إلى ما يخالفها فيقول شارحًا[3] : « (وما أتى) من أبنية مصادر الثلاثى (مخالفًا لما مضى – فبابه النقل) لا القياس (كسخط ورضى) . . . « وكموت وفوز ... مما قياسه فُعول »

فالفُعُول عنده أيضًا القياس فى مصدر فَعَل اللازم .

ويقول السيوطى[4] : « (و)يطَّرد . . . لفَعَل بالفتح (لازمًا فُعول)بضم الفاء سواء كان صحيحًا كركع ركوعا . . . أو معتلا . . . كدنا دنوّا . . . أم مضاعفًا كمرّ مرورًا » .

فالفُعُول عند السيوطى مطَّرد أيضًا فى مصدر فَعَلَ اللازم .

ومن المتأخرين :يقول الأساتذة حفنى ناصف وجماعته[5] فى الكلام على المصدر : « أما الثلاثى فلمصدره أوزان كثيرة ، المدار فى معرفتها على السماع ، غير أن – الغالب . . . إلخ » وبعد ذلك[6] : « فإن لم يدل على شىء من ذلك فالغالب . . . فى فَعَل اللازم أن يكون مصدره على فُعُول كقعود وخروج ونهوض » .

---

(١) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ، مطبعة السعادة ، القاهرة ١٩٦٢ ، جـ ٢ ، ص ٢٠٦ .

(٢) شرح ابن عقيل ، جـ ٢ ، ص ٢٠٨

(٣) شرح الأشمونى على ألفية ابن مالك ، دار الكتاب العربى ، بيروت ١٩٥٥م ، جـ ٢ ، ص ٣٤٨ .

(٤) همع الهوامع شرح جمع الجوامع ، للسيوطى ، مطبعة السعادة بمصر ١٣٢٧هـ ، جـ ٢ ، ص ١٦٧ .

(٥) كتاب قواعد اللغة العربية لتلاميذ المدارس الثانوية ، تأليف حفنى ناصف ومحمد دياب والشيخ مصطفى طموم ومحمود عمر وسلطان محمد ، القاهرة ١٩٠٥م ، ص ٢٨

(٦) كتاب قواعد اللغة العربية ، ص ٢٩

فالفُعُول عندهم هو الغالب فى مصدر فَعَلَ اللازم .

وهو أيضًا قياسى عند الشيخ مصطفى الغلاييني [1] .

وهوغالبعند السيد أحمد الهاشمى [2] .

فما هو هذا الاطراد الذى يقاس عليه ؟ وهل يغلب بل هل يطَّرد حقًّا فُعُول مصدرًا لفَعل اللازم المفتوح عين الماضى ؟

٢ ــ الاطراد لغة : التتابع ، والجرى ، والسرعة ، والاستقامة . وفى لسان العرب لابن منظور : (اطَّرد الشىءُ : تبع بعضه بعضا وجرى ، واطرد الأمر :استقام ، واطردت الأشياءُ ؛إذا تبع بعضها بعضا ، واطرد الكلام ؛إذا تتابع ،واطرد الماءُ ؛إذا تتابع سيلانه . . . وجدول مطَّرد : سريع الجرية ، والأنهار تطَّرد أى تجرى . . . وأمر مطرد :مستقيم على جهته) .

والاطراد اصطلاحا : تماثل الأحكام واستمرارها واتساق مجراها وعدم تخلفها ومنه قولهم : القاعدة المطَّردة ، والقياس المطَّرد .

والمطَّردعندسيبويه هوالذى (لاينكسر) [3] ، وهو ما (اجتمعوا عليه) [4] وهو الذى يجرى (أبدا) [5] .

والاطراد عند السيوطى [6] هو (التتابع والاستمرار) وعنده أن (المستمر الذى لا يتخلف مطرد) .

وينقل السيوطى [7] عن ابن هشام تقسيمه لدرجات تكرر المسموعات إلى : النادر ، فالقليل ، فالكثير ، فالغالب ، فالمطرد . وأن المطردَ لايتخلف ، وأن الغالب أكثر من الكثير ولكنه يتخلف ، والكثير دونه ، والنادرَ أقل من القليل . ويمثل لذلك بمثال من أعداد متدرجة :

---

(١) جامع الدروس العربية للشيخ مصطفى الغلاييني ، المطبعة العصرية صيدا ،ط ١١ ، ١٩٧١م ، جـ ١ ، ص١٦٧ ــ ١٦٨ .

(٢) القواعد الأساسية للغة العربية للسيد أحمد الهاشمى ، دار الكتب العلمية بيروت ، ١٣٥٤هـ ، ص ٣٠٣

(٣) الكتاب ، جـ ٢ ، ص ٢٥٥

(٤) الكتاب ، جـ٢ ، ص ٣٣٠

(٥) الكتاب ، جـ ١ ، ص ٣٠٣

(٦) الاقتراح ، للسيوطى ، طبعة الهند ، ص ٢٠ ــ ٢١

(٧) الاقتراح ، ص ٢١

فإذا كان المطرد ثلاثة وعشرين (يريد ١٠٠ ٪) ، فالعشرون بالنسبة إليها غالب (٨٧ ٪) ، والخمسة عشر بالنسبة إليها كثير (٦٥ ٪) ، والثلاثة قليل (١٣ ٪) ، والواحد نادر (٤ ٪)[1] .

يظهر من كل هذا أن المطَّرد فى المسموعات الذى هو أكثر حدوثًا من الغالب ، وهو الذى لايتخلف ، ولاينكسر وهو ما اجتمعوا عليه ، وهو أكثر من الغالب ومن الكثير .

٣ ـ فلنعد إذن إلى كلام محمد بن مالك فى اطراد فُعُول ، ولنتناول القضية بطريقة إحصائية كأى مسألة فى علم الاحصاء الرياضى .

لابدّ أولًا من اختيار عَيِّنَة Sample بحجم مناسب n ، وليكن حجمها من الكبر بحيث تكون ذات دلالة إحصائية مقبولة . وقد اخترنا لهذا الغرض مجموع الأفعال الثلاثية اللازمة المفتوحة العين التى تبدأ بحرف الباء ، واعتمدنا فى ذلك معجمى :المنجد[2] للأب لويس معلوف ، والوسيط[3] لمجمع اللغة العربية فى القاهرة ؛ لأن كليهما يذكر الفعل والمصدر ، خلافًا للمعجمات القديمة التى قد تورد المصدر دون الفعل ، أو الفعل دون المصدر ، فى كثير من الحالات . فإن وجد اختلاف عدنا إلى القاموس المحيط[4] للفيروزبادى أو لسان العرب[5] لابن منظور .

٤ ـ بلغ مجموع الأفعال n فى هذه العينة مائة وستة وستين (١٦٦) فعلاً ثلاثيًا لازماً مفتوح عين الماضى . ولعدم اعتماد أىّ منها على غيره فى العينة وفى المعجم فإن العيّنة تُعدّ عشوائيّة random فى العرف الإحصائى . وقد تمّ تخمين النسبة بين حجم المجموعة universe ، التى تمثل مجموع عدد الأفعا N من هذا القبيل فى المعجم ، وبين حجم العينة n من النسبة بين مجموع عدد صفحا

---

(١) وانظر تعليق الأستاذ أمين الخولى على بحث الأستاذ محمد الفاضل ابن عاشور : «تحرير أفعل من قياس نحوى فاسد» ، فى الدورة ٣٢ لمجمع اللغة العربية بالقاهرة ، البحوث والمحاضرات ، بغداد ١٩٦٦م ، ص ١٠١ .

(٢) المنجد فى اللغة ، للأب لويس معلوف اليسوعى ، المطبعة الكاثوليكية بيروت ، ط ١٥ ، ١٩٥٦م .

(٣) المعجم الوسيط ، إخراج إبراهيم مصطفى وأحمد حسن الزيات وحامد عبد القادر ومحمد على النجار ، مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، أشرف على طبعه عبد السلام هارون ، مطبعة مصر ، ١٩٦٠م ، جـ١ ، ٢ .

(٤) القاموس المحيط ، لمجد الدين الفيروزبادى ، المطبعة الحسينية ، القاهرة ١٩١٣م ، جـ١ ـ ٤ .

(٥) لسان العرب ، لجمال الدين بن منظور الأنصارى ، طبعة بولاق ، القاهرة ١٨٩١م ، جـ١ ـ ٢٠ .

المعجم وبين عدد الصفحات التى تضم حرف الباء فقط فى المعجم ، ومن مقدار هذه النسبة ومجموع أفعال العينة n ، الذى هو ١٦٦ ، أمكن الحصول على تخمين تقريبى لمجموع الثلاثى اللازم المفتوح العين N فى المعجم ، وذلك بضرب هذه النسبة فى ١٦٦ .

وقد حُسِبَتْ هذه النسبة ، وأجرى هذا التخمين فى عدد من المعجمات المرتبة مداخلها على الحروف الأُولى — وهى المنجد للأب لويس معلوف ، والمعجم الوسيط لمجمع القاهرة ، وأساس البلاغة (١) للزمخشرى ، ومختار الصحاح (٢) للرازى — فكانت كالآتى :

وهكذا يظهر أن تخمين N لمجموع الثلاثى اللازم المفتوح العين فى المعجم يتراوح بين ٣٦٠٠ و ٥٠٠٠ وأن معدله التقريبى هو ٤١٠٠ للمعجمات الأربعة ، وأن معدل نسبة العينة إلى المجموعة هو زهاء ١ / ٢٥ ، متراوحا تخمينه بين ١/٢١ و ١/٣٠ ، وهذا الانحراف عن المعدل ، كما يبدو ، قليل . فلو أخذنا معجمى المنجد والوسيط فقط لغرض هذا التخمين لوجدنا أن معدل النسبة هو زهاء ١/٢٧ ، وأن N هو نحو ٤٥٠٠ . ولعل هذا أقرب إلى الحقيقة لكون معجمى

المعجم	ب عدد صفحات المعجم	ج عدد صفحات حرف الباء	د (= ب/ج) النسبة بين صفحات المعجم وصفحات الباء	N (≃ ١٦٦ د) تخمين اللازم المفتوح العين فى المعجم
المنجد	١٠٣١	٣٤	١ / ٣٠,٤	٥٠٠٠
الوسيط	١٠٨١	٤٥	١ / ٢٤,٠	٤٠٠٠
الأساس	١٠٧٨	٤٦	١ / ٢٣,٤	٣٩٠٠
مختار الصحاح	٦٤١	٣٠	١ / ٢١,٤	٣٦٠٠
		المعدل التقريبى	١ / ٢٥	٤١٠٠

(١) أساس البلاغة ، لجار الله الزمخشرى ، دار مطابع الشعب ، القاهرة ١٩٦٠م .

(٢) مختار الصحاح ، لأبى بكر الرازى ، مطبعة الترقى ، دمشق ، ط ١ ، ١٩٣٨م .

المنجد والوسيط أوسع وأشمل من المعجمين الآخرين .

ومهما يكن من أمر فإن من المعروف فى علم الإحصاء على أية حال أن الحجم المطلق للعينة n ، وهو هنا ١٦٦ وليس بالقليل ، هو أهم كثيراً فى الدلالة الإحصائية من نسبتها إلى حجم المجموعة [1] .

وكذلك تجدر الإشارة فى هذه الحالة من جودة حجم العينة ، إلى أنه لكون النسبة بين حجمى المجموعة والعينة كبيرة نسبياً ، وهى هنا زهاء ٢٧ ، فسواء أكان مجموع هذه الأفعال فى المعجم ٣٠٠٠٠ أم ٦٠٠٠ ، أم حتى لا نهائياً ، فلن يكون كبير فرق فى الدلالة الإحصائية التى يمكن الحصول عليها من العينة الجيّدة المستعملة [2] ، يظهر مما يأتى :

٥ ـ تخمين الخطأ المحتمل فى تقدير عدد المصادر من نوع معين فى المعجم من عددها فى العيّنة :

المطلوب فى هذه الدراسة تقدير نسبة المصادر من نوع معين ، مثل فُعُول ، أو فَعْل ، لجميع الثلاثى اللازم المفتوح العين فى المعجم ، من إحصاء نسبتها فى العيّنة ، وكذلك تخمين أقصى خطأ محتمل فى هذا التقدير ، بحدّ من الثقة Confidence limit لا يقل عن نسبة مئوية معينة ، وتأخذ هذه ٩٥ ٪ عادة [3] ويمكن تخمين هذا الخطأ المحتمل [4] من الصيغة $\pm Z S$ ، أى من :

$$\pm Z \sqrt{\frac{p(1-p)}{n}\left(\frac{N-n}{N-1}\right)} \quad [1]$$

---

(١) انظر مثلا Statisttcal Quality Control. by E. L. Grant, Mc Graw — Hill, N. Y., P. 344

(٢) Statistical Quality Control, P. 345 .

(٣) انظر مثلا Statstics Made Simble, by H. T. Hayslett ; published by W. H. Allen, London, 1968, P. 105 and P. 158 .

(٤) انظر مثلا Tables for staticians, by H. Arkin and R. R. Colton, Barnes & Noble, Inc., N.Y., 1950, P. 20 .

حيث يرمز p إلى نسبة المصادر من نوع معين فى العينة ، ولعدم معرفتنا بها بادئ ذى بدء فيمكن افتراض نسبة ٥٠٪ أى ٥و٠ لأغراض تخمين الخطأ المحتمل فى هذا التقدير فقط. (فإن كانت النسبة الحقيقية أقل أو أكثر من ذلك فسيكون الخطأ المحتمل أقل من المخمن) .

ويشير N إلى حجم المجموعة ، وهو هنا مقدّر بـ ٤٥٠٠ كما سبق ذكره .

ويرمز n إلى عدد الأفعال فى العينة وهو ١٦٦

ويمثل S مقدار الانحراف القياسى المخمن فى المجموعة .

أما Z فهو معامل يحدّده حدّ الثقة المختار ، فلو كان هذا ٩٥٪ ، كما مرّ ذكره ، لكانت[1] قيمة المعامل ١و٩٦ ، ولو كان حدّ الثقة المطلوب ٩٠٪ مثلاً لكان المعامل ١و٦٥ ، ولو كان ٩٩ ٪ لكان ٢و٥٨ (وهذا المعامل ، مضروبا فى الانحراف القياسى ، يمثل عند الإحصائيين مسافة المسقط الأفقى للمساحة التى تمثل حدّ الثقة فى منحنى التوزيع الطبيعى nrmal curve distribution فى حساب الاحتمالات)[2]

وبالتعويض فى الصيغة [١] يكون أقصى خطأ محتمل بحدّ من الثقة مقداره ٩٥٪ هو :

$$\text{١و٩٦} + \sqrt{\frac{(\text{٥و٠})\ (\text{٥و٠})\ (\text{٤٥٠٠}-\text{١٦٦})}{\text{١٦٦}\ (\ \text{٤٥٠٠}-\text{١}\ )}}$$

$$= \text{٠و٠٧٤٧}$$

$$\approx \text{٥و٧}\ \%\ \text{(مقربًا لمرتبة عشرية)}$$

أى يمكن القول بحدّ ثقة مقداره ٩٥و٠ بأن الخطأ فى تقدير نسبة مصادر اللازم من أى وزن فى المعجم ، باعتبار أن فيه ٤٥٠٠ ثلاثى لازم مفتوح العين ، من حساب نسبتها فى عينة مقدارها ١٦٦ ، لن يتجاوز ± ٥و٧٪ .

بل يمكن القول :استنادًا إلى حساب مشابه ، بثقة مقدارها ٩٩٪ (وهوشبه تأكيد مطلق) بأن الخطأ لن يتجاوز ± ٨و٩٪ بحال (وذلك بتعويض ٢و٥٨ بدلا من ١و٩٦ فى الصيغة [١]) .

---

(١) انظر Tables fot statisticism, p. 114

(٢) انظر مثلا Tables for statisticism, p. 12

٦ – ونمة نقطتان تجدر ملاحظتهما تعقيباً على أمرين سلف الكلام عليهما :

(ا) يلاحظ من التعويض فى الصيغة (١) انه لوكان مجموع اللازم المفتوح العين فى المعجم ٣٠٠٠ بدلاً من ٤٥٠٠ فان أقصى خطأ محتمل سيكون ، بموجب الصيغة ذاتها ، ± ٧ر٤ ٪ بحدّ ثقة مقداره ٩٥ ٪ ، وهو لايختلف إلا بقدر تافه عن الـ ± ٧ر٥ ٪ المحسوبة للمجموع ٤٥٠٠ .

ومثله يقال فى حال كون المجموع الحقيقى لهذه الأفعال ٦٠٠٠ إذ سيكون أقصى خطإٍ محتمل هو ± ٧ر٥ ٪ أيضا – مقربا إلى مرتبة عشرية واحدة – من دون اختلاف عما هو عليه فى حال كون المجموع ٤٥٠٠ .

وحتى لو اعتبر مجموع الأفعال فى المعجم لانهائيا فإن أقصى خطإٍ محتمل مخمن من العينة لن يتجاوز ∓ ٧ر٥ ٪ أيضا – لمرتبة عشرية واحدة – فى حد الثقة ذاته .

(ب) ويلاحظ أيضا أن تخمين أقصى خطإٍ محتمل قد أُجرى بافتراض أن p ، وهى نسبة المصادر من أى نوع فى العينة ، تساوى ٥ر٠ . ولما كان الاحتمال الأرجح أنها لاتساوى ذلك ، لأنها قد تساوى أى كسر بين الصفر والواحد ، فإن أقصى خطأ محتمل سيكون حتماً أقل من الذى سلف تخمينه . وسيمكن تخمينه على وجه الدقة بعد معرفة الحقيقة لكل نوع من المصادر ، كما سيأتى . وعليه فيمكن اعتماد العينة .

فلننتقل إذن إلى حصر المصادر فيها وتصنيفها وإحصائها .

٧ – روعى فى اختيار أفعال العينة وفرزها وتصنيفها بحسب مصادرها مايأتى :

(ا) من هذه الأفعال ماجاء لازما ومتعديا ، مثل (بدأ بالشىء وبدأه) ، وطبيعى أنه لم يُنْظَر بعين الاعتبار إلى غير اللازم فى هذه الدراسة .

(ب) أن عدداً كبيراً من الأفعال ورد مصدره على أكثر من وزن فى معنى واحد بعينه ، مثال ذلك أنه يقال (بَرَق بَرْقاً وبُرُوقاً وبريقاً ، أى لمع) ، ففى هذه الحالة يُعَدّ الفعل واحداً فى حساب مجموع العيّنة .

أما إذا اختلف معنى الفعل باختلاف مصدره فإنه يصنَّف فى أكثر من موضع . مثال ذلك أنه يقال : (بَسَق الرجل بسْقاً ، أى بصق) فهذا يصنَّف مع ماجاء مصدره على فَعْل ، أما (بَسَقَ النخل بُسُوقاً ، أى ارتفعت أغصانه وطال) فيصنَّف مع ماجاء مصدره على فُعُول ، وكلٌّ يُعَدّ مادّة فى العيّنة .

(ج) لقد انصبّ الاهتمام بالدرجة الأولى فى هذه الدراسة على مصدرين هما : فُعُول وفَعْل ، وذلك لكثرة ترددهما وغلبتهما على سواهما فى عيّنة الثلاثى اللازم المفتوح العين ، أمّا ما لم يجئْ له مصدر على أى من هذين الوزنين فهو نادر فى العينة ولا يكاد يُعتَدُّ به ، كما سيأتى . ولهذا فقد صُنِّفت المجموعة إلى ماجاء له مصدر على فُعُول ولم يجىء له مصدر على فَعْل (أى فى نفس المعنى) ، وماجاء له مصدر على فَعْل ولم يجئْ له مصدر على فُعُول ، وما جاء له مصدران على فُعُول وعلى فَعْل كليهما ، وما لم يجئْ له مصدر على فُعُول ولا على فَعْل . وللسبب عينه لم تكن ثمّة ضرورة لسرد جميع مصادر الفعل من غير فُعُول وفَعْل ، فإن ذُكِر بعضها فعلى التمثيل لا غير ، مثال ذلك أنه يقال : (بَنَىَ بأهله وعليها بَنْياً وبِناءً وبُنياناً وبنية وبناية أى دخل عليها) فالذى يهمنا فى هذا المثال وجود المصدر الأول الذى هو على فَعْل ، فأوردناه واكتفينا بذكر بعض المصادر الأخرى معه .

(د) حُذِف من أفعال العيّنة ما اقتُصر مصدره على فِعال لامتناع ، وفَعلان لتقلُّب ، وفُعال داء أو صوت ، وفَعِيل لسير أو صوت ، وكل ذلك قليل .

٨ – فيما يأتى التصنيف الذى أُجرى لهذه الأفعال بحسب أوزان مصادرها ومعانيها لمعرفة التردد الصنفى Class freuency لكل منها :

(١) ماجاء له مصدر على فُعُول ولم يجئْ على فَعْل :

- بَتَّ الشئُ بُتوتاً انقطع . واليمينَ وجبت .
- بَتَع فى الأرض بُتوعاً تباعد .
- بَثَق الماءُ بُثوقاً اندفع فجأةً .

- بَجَد بالمكان بُجوداً أقام .
- بدَر إلى الشيء بُدُوراً أسرع .
- بدَا بُدُوّاً وبَداءاً ظهر .
- برَأ من المرض بُرْءاً وبُرُوءاً شُفِىَ .
- بَرَج الشيءُ بُروجاً ظهر وارتفع .
- بَرَح الصَّيْدُ بُروحاً مرّ عن يمينك .
- بَرَّ فى قوله بُروراً وبِرّاً وبَرارة صدق
- برَز بُرُوزا خرج إلى البَرَاز أى الفضاء
- برَض النباتُ بُرُوضاً خرج بَارِضُه وهو أول مايطلُع منه .
- بَرَع بُرُوعاً وبَراعةً فاق علماً أو فضلاً أو جمالاً .
- برَك البعيرُ بُرُوكاً وتبراكاً استناخ .
- بسَق النخلُ بُسُوقاً ارتفعت أغصانه وطال .
- بَسل الرجلُ بُسُولاً عَبَس من الغضب أو الشجاعة .
- بضَعَ الكلامُ بُضُوعاً تَبين ، ومن فلانٍ سَئِم .
- بَطَل بُطلاَ وبُطولاً وبُطلاناً فَسَد .
- بَغَرت السَّماءُ بُغُوراً أمطرت
- بَغَمت الظبيةُ بُغوماً وبُغاماً صوتت بصوت مرخيم .
- بَكَر إليه بُكوراً تقدّم .
- بَلَج الصبح بُلوجاً أسفر .
- بَلَح بُلوحاً أعيا وعجز .
- بَلَد بالمكان بُلوداً أقام به .
- بلغ الثمر بُلوغاً نَضِج ، والغلام أدرك .
- بَلَق بُلوقاً أسرع .
- بَلّت الريح بُلولاً هبّت بَلِيلاً .

وهذه عددها سبعة وعشرون (٢٧) كلها جاء مصدره على فُعُول ولم يجىء على فعْل .

(ب) ما جاء له مصدر على فَعَل وفُعُول كليهما :

- بَتَأ بالمكان بَتْأً وبتوءًا أقام .
- بَثَر وجهَه بثْراً وبثوراً خرج منه بثر .
- بَجَس الماء بَجْساً وبُجُوساً تفجّر وانفجر .
- بَجَل بَجلاً وبُجولاً فرح .
- بَجَم بَجماً وبُجوماً سكت عن فزع أو عجز .
- بح بَحّاً وبُحوحاً وبَحَحاً وبَحاحةً وبُحاحاً أخذته بحة .
- بَخِتَت عينه بَخْقاً وبُخوقاً انفقأت .
- بَدَن بَدْناً وبُدونا عظم بدنه .

ـ بَدا بَدواً وبُدوّاً وبداءًا وبَداءةً ظهر .

ـ بَذَخ بَذْخاً وبُذوخاً علا وارتفع .

ـ بَرَد بَرْداً وبُروداً هبطت حرارته .

ـ بَرَق بَرْقاً وبُروقاً وبريقا لمع .

ـ بَزَغ بَزْغاً وبُزُوغاً ظهر .

ـ بَزَل النابُ بَزْلاً وبُزُولاً طلع .

ـ بَسَأً وبُسُوءاً أَنِس .

ـ بَسَر الرجل بَسْراً وبُسُوراً قطَّب وجهه ، عَجِل .

ـ بضَّ الماءُ بَضْاً وبُضوضاً وبضيضاً سال قليلاً قليلاً .

ـ بَطَن بَطنا وبُطوناً خفى .

ـ بقَّ النَّبتُ بَقّاً وبُقوقاً طلع .

ـ بَقَل بَقْلا وبُقولاً ظهر .

ـ بَكَأَت الناقة بَكْأً وبُكوءً وبُكاءًا قلّ لبنُها .

ـ بلّ من مرضه بَلاًّ وبُلولاً وبَلَلاً برئ .

ـ بَهَأَ به بَهْأً وبُهوءًا وبَهاءً أَنِس .

ـ بَهَرَت الشمسُ بَهْراً وبُهُوراً أضاءت .

ـ باح بَوْحاً وبُؤوحاً ظهر .

ـ باخ بَوْخاً وبُؤوخاً سكن وفتر ، أعيا.

ـ باق بَوْقاً وبُؤوقاً جاء بالشرّ والخصومة

ـ باك بَوكاً وبؤوكاً سَمِن ، والأَمرُ اختلط .

ـ باد بَيْداً وبُيُوداً هَلَك .

ـ باز بَيْزاً وبُيوزاً هَلَك .

ـ بان عنه بَيْناً وبُيُونُاً وبينونةً انقطع .

فهذه مجموعها واحد وثلاثون (٣١) كلها جاء مصدره على فَعْل وعلى فُعُول كليهما

(ج) ما جاء له مصدر على فَعُل ولم يجىء على فُعُول :

ـ باج باجا صرخ .

ـ بَأَر بَأْراً حفر بؤرة .

ـ بأَه للأَمر بَأْهاً فطَن .

ـ بَأَى عليهم بَأْواً تكبرّ ، والدابة جهدت فى عَدْوها .

ـ بأَى بأْياً تعاظم وفخر .

ـ بَجَح به بَجحاً فرح .

ـ بَحَث فى الأَرض بَحْثاً حفر

ـ بَخّ فى النوم بَخّاً غطّ .

ـ بَخَا غضبُه بَخْواً سكن وفتر .

- بَخَرَت لقِدْرُ بَخْراً وبُخاراً ظهر بُخارُها .
- بَدَأَ بالشيء بَدْأً افتتحه .
- بَدَحَ بالسِّرِّ بُدْحاً باح به .
- بَدَّ بفلان عن الشيء بَدًّا أبعده عنه .
- بَدَرَ القَمَرُ بَدْراً اكتمل .
- بَدَا فلانٌ بَدْواً وبَدَاوةً خرج إلى البادية ، أقام بها .
- بَذَأَ بَذْأً وبذَاءً فحش فى قوله .
- بَذَحَ بالرأْى بَذْحاً قطع به .
- بَذَرَت لأَرضُ بَذْراً أخرجت نباتها .
- بَذَعَ الاناءُ بَذْعاً قطر ماؤه .
- بَذَمَ بَذْماً وبَذامةً قوى ومتُن ، حزُم وجاد رأْيُه .
- بَذَا بَذْواً ساء منطقُهُ ، وعليه تكلمّ بالفحش .
- بَرَحَ الرجلُ بَرْحاً غَضِب .
- بَرَضَ الماءُ من العين بَرْضاً خرج قليلاً .
- برقت المرأة بَرْقاً تزينت .
- بَرَى لفلان بَرْياً عرض له .
- بَزَجَ الرجلُ بَزْجاً تفاخر .
- بَزَقَ بَزْقاً بصق ، والشمس برغت .
- بَزَمَ القولُ بَزْماً غلُظ ، وعليه عضه ، وعلى الأَمر عزم .
- بَزا بَزْواً تطاول
- بَسَّ بسًّا طلب وجَهَد .
- بَسَطَ من فلانٍ بَسْطاً أَزال احتشامه .
- بَسَقَ بَسْقاً بصق .
- بَسَمَ بَسْماً ضَحِك قليلاً .
- بَشَرَ به بَشْراً وبشراً وبشراً فرح .
- بشْ بَشًّا وبَشاشة كان طلق الوجه .
- بَشَقَ بَشْقاً أَحدّ النظ .
- بَشَكَ الرجلُ بَشْكاً أَسرع .
- بَصَّ لماءُ بَصًّا وبَصيصاً شح ، والنجمُ تلألأَ .
- بَصَعَ الماءِ بَصْعاً سال ، رشح .
- بَصَقَ بَصْقاً لفظ ما فى فمه .
- بَصَا بَصْواً استقصى ما عند غريمه .
- بَضَّ لجلدُ بَضّاً وبَضاضة وبُضوضة كان رقيقاً ناعماً فى سِمَن .
- بَضَعَ الدمع بَضْعاً جال فى العين ولم يَفضْ ، ومن الماء روى .
- بَضَمَ الزرع بَضْماً اشتدّ .

- بَطَش به بَطْشاً فتك .
- بَعث بالكتاب بَعْثا أرسله .
- بَعَص الشيءُ بَعْصاً ضطرب .
- بعط فى الجهل بَعْطاً بالغ وأفرط .
- بَعَّ المطرُ بَعًّا نزل ماوه غزيراً .
- بَعَق الوابل بَعْقاً انفتح فجأة .
- بعل بَعْلا وبُعولة تزوج .
- بعَا بَعْواً أجرم وجنى .
- بَعَى بَعْياً أجرم وجى .
- بَغَزت الدابّةُ بَغْزاً ضربت الأرض برجلها .
- بَغَشت السماءُ بَغْشاً أمطرت .
- بَغّ الدَّمُ بَغًّا هاج .
- بَغَا عليه بَغْواً تعدّى .
- بَغى الرجل بَغْياً وبُغاءا عدل عن الحقّ ، وعليه ظلمه ، والسماءُ اشتد مطرها
- بَقَرَ فى بنى فلانٍ بَقْرًا فتّش أمرهم .
- بَقَع بَقْعاً ذهب .
- بقّ بَقًّا وبَقَاقاً على القوم كثُر كلامُه .
- بَقَى بقْياً دام ، ثبت .
- بَكَّ الرجلُ بَكاًّ افتقر .

- بَكَل الرجلُ بَكْلاً اتخذ البَكالة وهى طعام من السَّويق والزيت .
- بَلَتَ الشيءُ بَلْتاً انقطع .
- بَلَح الثرىَ بَلْحاً يَبِس .
- بَلَخ الرجلُ بَلْخاً تكبرّ وحمُق .
- بلّ فى الأَرض بَلاًّ ذهب .
- بنج بنْجاً رَجَع إلى بِنْجِه أى أصله .
- بنَق إليه بَنْقاً وصل .
- بَنَّ بنًّا تراكم شحمُه ،وبالمكان أقام .
- بَنَى بأَهله وعليها بنْياً وبناءًا وبُنياناً دخل عليها .
- بَهَر الرجلُ بَهْراً فاق أقرانه .
- بَهَش إليه بَهْشاً أقبل عليه مسروراً .
- باءَ إليه بَوْءاً رَجَع .
- بابَ له بوْباً لازمه .
- باثَ عن الشيء بوْثاً بَحَث
- باج عليه الشَّرُّ بوْجاً حلّ به ، والبرقُ لمع .
- باذ بَوْذاً افتقر ، تواضع .
- بار بَوْراً وبَوَاراً هلك .
- باز بَوْزاً انتقل من مكان لآخر .
- باش القوم بَوْشاً اختلطوا وضَجُّوا .

- باص منه بَوْصاً هَرب واستتر .
- باص بَوْصاً حسُن وجهُه بعد كَلَف .
- باطَ بَوْطاً افتقر بعد غنى .
- باعَ بَوْعاً بسط يده بالعطاء .
- بال بَوْلا أخرج ماء مثانته .
- باه له بَوْهاً فطن
- بات ن المكان بَيْتاً وبيتوتَةً وبَيَاتاً أقام فيه الليل ، والرجلُ بيتاً تزوج.
- بوى بَيًّا حاكى غيره فى فعله .
- باسَ بَيْساً مات وتبختر .
- باض الطير بَيْضاً ألقى بيضَه .
- باظَ بَيْظاً سمن بعد هُزال .
- باع على بيع أخيه بَيْعاً تدخَّل بين المتبايعين لإفساد العقد للحصول على الصفقة له .
- باغ الدَّمُ بَيْغاً هاج .
- باه له بَيْهاً تنبَّه .

وهذه مجموعها ستة وتسعون (٩٦) لازماً مفتوح العين كلها جاء مصدره على فَعْل ولم يجئ على فُعُول

(د) ما لم يجئ له مصدر على فُعُول ولا على فَعْل :

- بَدَخ بَدَخاً وبَداخةً كان عظيم الشأن
- بَدَّ الرجلُ بَدَداً عَظُم خلْقُه ، تباعد ما بين فخذيه من كثرة لحمهما .
- بذَّ الرجلُ بَذَذاً وبَذَاذاً رثَّت هيئته ، ساءت حالته .
- برَز بَرَزاً ظهر بعد خمول أو خفاء.
- بَرَز برَازة فاق أصحابه فضلاً أو شجاعة.
- بَضَّ بَضاضةً وبُضوضةً كان رقيق الجلد ناعِمَه فى سِمَن .
- بَغَضَ بَغَاضةً صار بغيضاً .
- بَكَى بُكاءا وبُكىً سال دمعُهُ حزناً .
- بلّ بكذا بللاً وبَلَالة ظَفِرَ به وأدركه .
- بَهَا بهاءا وبَهَاءة حَسُن وظَرُف .
- بان بَيَاناً وتِبْياناً اتَّضح وظهر .
- بَاه بَوَاهاً ضجّ ، والحيوان هزل .

فهذه مجموعها اثنى عشر (١٢) كلها لم يجئ مصدره على فعول ولا على فعل .

٩ – ويبين الجدول التالى خلاصة المترددات الصنفية لمصادر العَيِّنة .

كما جاءت فى الفقرة السابقة :

	العدد	النسبة المئوية
(ا) ماجاء له مصدر على فُعول ولم يجىء على فَعْل	٢٧	١٦ر٣ ٪
(ب) ماجاء له مصدر على فَعْل وفُعُول كليهما	٣١	١٨ر٧ ٪
(جـ) ماجاء له مصدر على فَعْل ولم يجئ على فُعول	٩٦	٥٧ر٨ ٪
(د) ما لم يجئ له مصدر على فُعول ولا على فَعْل	١٢	٧ر٢ ٪
	١٦٦	١٠٠ ٪

الجدول ١ : خلاصة الترددات الصنفية لمصادر العينة :

١٠ ــ يتضح من الجدول ١ أن أكثر مصادر هذه الأفعال جاء على فَعْل أو فعول أو كليهما ، وأن قلة منهما فقط لم يجىء له صدر على أى من هذين.

ويتضح أيضا بوجهٍ قاطع ان المصدر بزنة فَعْل أكثر ترددًا منه بزنة فعُول فى العينة .

ولتداخل المصدرين فى بعض أفعال لعينة فقد فصِّل التصنيف على الأوجه لتالية لأغراض المقارنة الإحصائية :

(أ) ماجاء له مصدر على فُعول	٩٦+٣١=١٢٧	٧٦ر٥ ٪
(ب) ما لم يجىء له مصدر على فُعول	٢٧+١٢=٣٩	٢٣ر٥ ٪
	١٦٦	١٠٠ ٪

الجدول ٢ ا : تصنيف لدراسة تردد فُعول (٠ر٣٤٩)

(أ) ماجاء له مصدر على فُعول	٢٧+٣١=٥٨	٣٤ر٩ ٪
(ب) ما لم يجىء له مصدر على فُعول	٩٦+١٢=١٠٨	٦٥ر١ ٪
	١٦٦	١٠٠ ٪

الجدول ٢ ب : تصنيف لدراسة تردُّد فَعْل (٠ر٧٦٥)

(ا)ماجاء له مصدر على فَعْل أو فُعول أو كليهما	٩٦ +٢٧ +٣١ =١٥٤	٨ر٩٢ ٪
(ب)ما لم يجئ له مصدر على فُعول ولا على فَعْل	١٢	٢ر٧ ٪
	١٦٦	١٠٠ ٪

لجدول ٢ جـ : تصنيف لدراسة تردُّد فعْل أو فُعول أو كليهما (٩٢٨ر٠)

وقد رسم الشكل ١ لتوضيح ماجاء فى لجدول ١ ، وتوضح الأشكال ٢ آ إلى ٢ جـ الجداول ٢ آ إلى ٢ جـ.

١١ – يبدو جلياً من الأشكال ٢ آ إلى ٢ جـ – وكذلك من الجداول ٢ آ – إلى ٢ ما يأتى :

(ا) أن ماجاء له مصدر على فُعول من هذه الافعال الثلاثية اللازمة المفتوحة العين الى تؤلف العينة لم يتجاوز ٩ر٣٤ ٪ (الشكل ٢ آ) من مجموع فعال العينة ، أى انه زهاء ثلث لعينة فقط ، وهو قليل ،ولا يمكن له بحال أن يُعَدَّ مطَّرداً ولا غالباً ولا كثيراً.

(ب) ان ماجاء له مصدر على فَعْل من أفعال هذه لعينة هو ٥ر٧٦ ٪ (التشكل ٢ ب) ، أى أنه أكثر من ثلاثة أرباع العينة فهو إذن الغالب فى مصادرها ، فضلا عن أنه أكثر من ضعفى ماجاء له مصدر على فُعُول .

(جـ) أن ٨ر٩٢ ٪ من أفعال العينة (الشكل ٢ جـ) جاءَ له مصدر إمَّا على فَعْل أو على فُعول أو كليهما ، فهو الغالب ، أما ما لم يجئ له مصدر على أىٍّ من هذين الوزنين فهو ٢ر٧ ٪ فقط وهو قليل جداً أو نادر .

فلو صح انطباق هذه النسب أو شىءٌ قريب منها على مجموع ما فى المعجم من هذه الأفعال لأمكن القول بغلبة فَعْل على فُعول فى مصادر فَعَلَ اللازم المفتوح العين ، خلافاً لما أشار إليه ابن مالك . فلننتقل إذن إلى مدى الخطإ المحتمل فى انطباقها على المعجم .

١٢ – استناداً إلى ما جاء فى الفقرة ٦ والصيغة (١)، يمكن التعبير عن نسبة

أىٍّ من هذه المصادر فى مجموع الثلاثى للازم المفتوح العين فى المعجم بالعلاقة:

$$P = P \pm Z\,S$$

أى :

$$P=P \pm Z \sqrt{\frac{P(1-P)}{n}\left(\frac{N-n}{N-1}\right)} \quad (٢)$$

حيث ترمز P إلى نسبة الأفعال الثلاثية اللازمة المفتوحة عين الماضى التى لها مصدر من وزن معين فى المعجم إلى مجموع هذه الأفعال فى المعجم .

وللحصول على تقدير معتمد لأىٍّ من هذه النسب سنختار حدا من الثقة مقداره ٩٩ ٪ بدلاً من حدّ الثقة ٩٥ ٪ الذى كثيراً ما يُؤخذ به فى مثل هذه الحالات ، وعليه فان قيمته ستساوى ٢ر٥٨ كما سلف ذكره .

وبتعويض قيم P كما وردت فى الجداول ٢ آ إلى ٢ جـ ، وقيمتى N و n المعلومتين ، فى الصيغة (٢) ، يمكن الحصول على النتائج التالية :

(ا) نسبة ما جاء له مصدر على فُعُول من هذه الأفعال فى المعجم .

= ٠ر٣٤٩ ± ٠ر٠٩٤

= ٣٤ر٩ ٪ ± ٤ر٩ ٪

= من ٢٥ر٥ ٪ إلى ٤٤ر٣ ٪

معنى هذا أن النسبة المقدرة لما جاء له مصدر على فعول من مجموع الثلاثى اللازم المفتوح العين فى المعجم هى على وجه التقريب ٩ر٣٤ ٪ وأنه فى ٩٩ احتمالاً من ١٠٠ لن يمكن لهذه النسبة أن تزيد على ٣ر٤٤ ٪ (أو أن تقلّ عن ٥ر٢٥) ، وهذا جزم أكيد بأن هذا المصدر ليس مطرداً ، ولا غالباً ، ولا كثيراً ، بل أنه أقل كثيرا من النصف فى أحسن الاحتمالات ، فهو إذن قليل فى مجموعة هذه الأفعال فى المعجم (الشكل ٣ آ) .

(ب) نسبة ما جاء له مصدر على فعْل من هذه الأفعال فى المعجم :

= ٥ر٧٦ر٠ ± ٠ر٠٨٣

= ٥ر٧٦ ٪ ± ٨ر٣ ٪

= من ٢ر٦٨ ٪ إلى ٨ر٨٤ ٪

أى أن ما جاء مصدره على فَعْل من هذه الأفعال فى المعجم هو على وجه التقريب ٥ر٧٦ ، وهو فى ٩٩ احتمالاً من ١٠٠ لايمكن أن يقل عن ٢ر٦٨ (ولا أن يزيد على ٨ر٨٤ ٪) ، وهذا يؤكّد أن هذا المصدر هو الغالب لمجموعة هذه الأفعال فى المعجم (الشكل ٣ ب) .

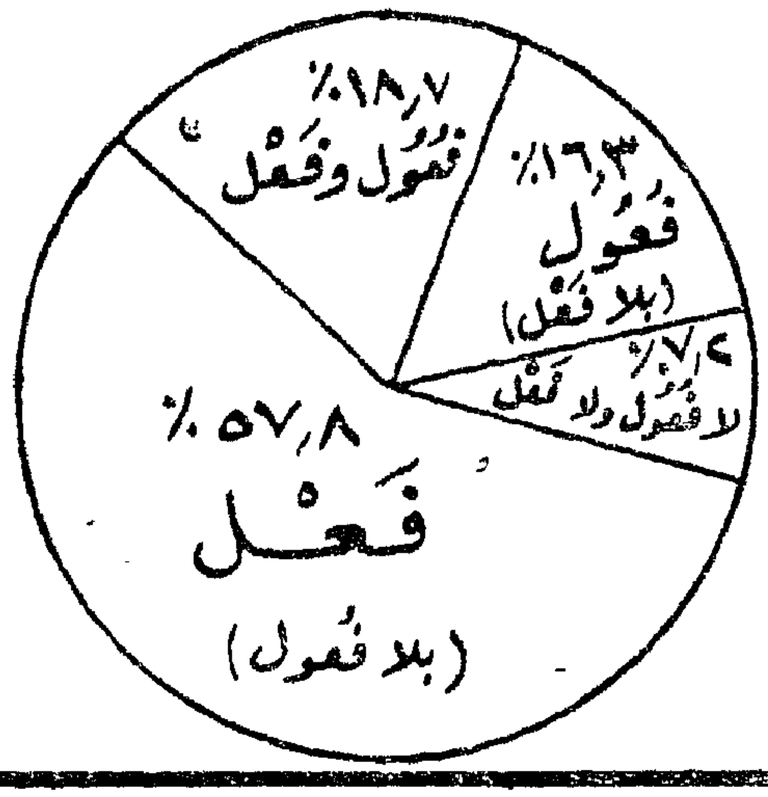

الشكل ١ : النتيجة الاحصائية لصادر فَعَلَ اللازم في العينة

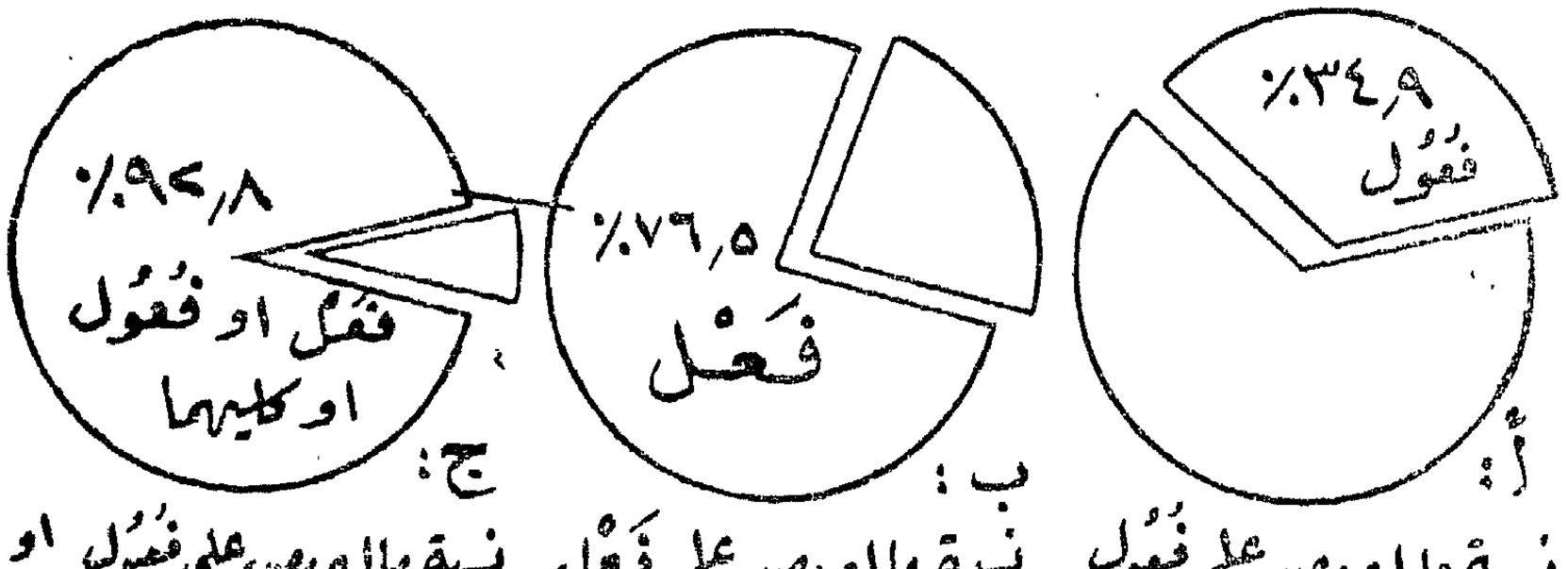

الشكل ٢ : تفصيل تردد مصادر فَعَلَ اللازم في العينة

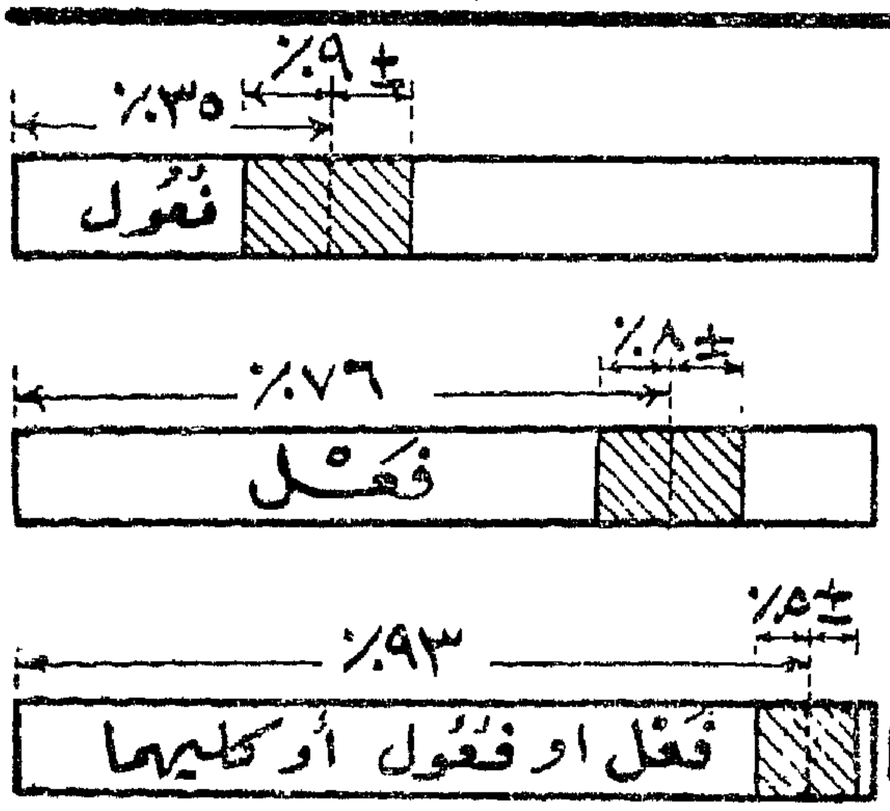

الشكل ٣ : تقدير مصادر فَعَلَ اللازم في المعجم بـ ٩٩ احتمالاً من ١٠٠

(ج) نسبة ما جاء له مصدر أما على فَعْل أو على فعُول أو كليهما فى المعجم :

= ٩٢٨ر٠ ± ٠٥١ر٠

= ٨ر٩٢٪ ± ١ر٥٪

= من ٧ر٨٧٪ إلى ٩ر٩٧٪

أى أن ما جاء له مصدر على واحد من هذين الوزنين على الأقل من هذه الأفعال فى المعجم هو فى حدود ٨ر٩٢٪، وهو فى ١٩٩ احتمالاً من ١٠٠ لن يقل عن ٧ر٨٧٪ (ولن يزيد على ٩ر٩٧)، فهو غالب جداً، وأغلبيته ساحقة، وما سواه يكاد يكون نادراً (الشكل ٣ آ).

١٣ ـ الخلاصة :

من هذه الدراسة لعيّنة عشوائية مولفة من ١٦٦ ثلاثيًّا لازمًا مفتوح عين الماضى فى مجموعة أفعال المعجم المشابهة لها والمقدرة بما بين ٤٠٠٠ و ٥٠٠٠، ظهر أنه فى تسعة وتسعين احتمالاً من مائة ستكون نسب مصادر هذه الأفعال فى المعجم كالآتى:

(ا) تقع نسبة ماله مصدر على فَعْل أو على فُعول أو كليهما بين ٨٨٪ و٩٨٪ مقربة لأقرب عدد صحيح (الشكل ٣ آ)، أى أن ما ليس له مصدر على أىٍّ منهما يمكن عدّه نادراً (فيما عدا ما اقتصرت مصادره على أوزان بعينها لامتناع، أو تقلّب، أو داء، أو صوت، أو سير، وقد لوحظ أنه قليل جداً).

(ب) تقع نسبة ماجاء له مصدر على فُعول بين ٢٦٪ و٤٤٪ (الشكل ٣ ب)، أى أنه لايمكن أن يُعدّ مطرداً ولا غالباً ولا كثيراً كما هو عليه سائر النُّحاة، بل هو أقل من النصف وأقرب إلى الثلث، وهو قليل.

(ج) تقع نسبة ما جاء له مصدر على فَعل بين ٦٨٪ و٨٥٪ (الشكل ٣ ج)، أى أنه الغالب، وهو أدعى للقياس عليه.

وبعد فهذا جزم أكيد بأن ما زِنةُ مصدره فَعْلٌ من هذه الأفعال أغلب مما زنة مصدره فعُول، بل هو فى حدود ما يربو على ضِعْفَيه (فضلاً عما يكون بعض اللغويين المتأخرين قد زادوه من مصادر على فُعول من عندهم ـ على

القياس –) ، فإن لم يكن أىٌّ منهما مطرداً فإن فعْل بلا شك هو الغالب بين مصادر فَعَلَ اللازم فى المعجم ، وهو أجدر بقياس مصدر ما لم يُسمع له مصدر عليه ؛ والآن فماذا بشأن قول ابن مالك :

(وفعَل اللازم مثل قعَدا
له فُعُولٌ باطِّراد كغَدا) ؟

أما كان الأصوب أن يقال مثلاً :

(وفعَل اللازم مثل عَتَبا
فَعْلٌ له كالمتعدِّى غَلَبَا

(ما لم يكن مستوجباً فِعالا
. . . . إلخ) ؟؟

أو :

(وفَعَلَ اللازمُ كالمعدَّى
قياسُه فَعْل ككَدَّ كَدّا) . . إلخ ؟؟

أو ما أشبه ذلك .

سؤال بين أيدى السادة الأعلام أهل اللغة والنحو .

الملحق (١)

الرموز

عدد مواد العينة (أى من الثلاثى اللازم المفتوح العين)

العدد المقدَّر لموادّ المجموعة (أى فى المعجم) المشابهة لمواد العينة.

نسبة تردُّد حدث معين (هنا تكرّر مصدر من وزن معيّن) فى مواد العينة .

النسبة المقدّرة لتردد حدث معيّن فى موادّ المجموعة (أى فى المعجم) .

الانحراف القياسى المخمَّن لكل مواد المجموعة (فى المعجم)

معامل يُضرب فى تخمين الخطإ المحتمل فى تقدير نسبة حدث معيّن فى المجموعة من حسابه فى عينة . وتتحدَّد قيمة هذا المعامل بمعرفة حد الثقة المطلوب فى التخمين .

الملحق (٢)

المراجع

- ألفية ابن مالك فى النحو والصرف ، الغلاييني ، المطبعة العصرية ، صيدا ، دار الكتب المصرية ، ط ٣ ، ١٩٣٢م . ط ١١ ، ٩٧١ «م ، ج ١
- الكتاب ، لسيبويه ، طبعة بولاق ، ١٣١٧ هـ ، ج ١ - ٢
- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ، طبعة دار الفكر ، بيروت ، بلا تاريخ .
- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ، مطبعة السعادة ، القاهرة ، ١٩٦٢م ، ج٢
- شرح الأشمونى على ألفية ابن مالك ، دار الكتب العربى ، بيروت ١٩٥٥م ، ج٢
- همع الهوامع شرح جمع الجوامع ، للسيوطى ، مطبعة السعادة بمصر ، ١٣٢٧ هـ ، ج ٢
- كتاب قواعد اللغة العربية لتلاميذ المدارس الثانوية ، تأليف حفنى ناصف ومحمد دياب والشيخ مصطفى طموم ومحمود عمر وسلطان محمد ، القاهرة، ١٩٠٥م .
- جامع الدروس العربية للشيخ مصطفى
- القواعد الأساسية للغة العربية للسيد أحمد الهاشمى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٣٥٤ هـ .
- الاقتراح ، للسيوطى، طبعة الهند .
- تحرير افعل من قياس نحوى فاسد تعليق للأستاذ أمين الخولى على بحث للأستاذ محمد الفاضل ابن عاشور ، مؤتمر الدورة ٣٢ لدورة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، البحوث والمحاضرات بغداد ، ١٩٦٦م .
- المنجد فى اللغة ، للأب لويس معلوف اليسوعى ، المطبعة الكاثوليكية بيروت ، ط ١٥ ، ١٩٥٦م .
- المعجم الوسيط ، إخراج الأساتذة إبراهيم مصطفى وأحمدحسن الزيات وحامد عبد القادر ، ومحمد على النجار مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، أشرف على طبعه عبد السلام هارون ، مطبعة مصر ، ١٩٦٠م ، ج ١ ، ٢

- القاموس المحيط ، لمجد الدين الفيروزبادى المطبعة الحسينية ، القاهرة ١٩١٣ م ، ج ١ - ٤

- لسان العرب ، لجمال الدين بن منظور الأنصارى ، طبعة بولاق ، القاهرة ، ١٨٩١م ، ج ١ - ٢٠

- أساس البلاغة ، لجار الله الزمخشرى دار ومطابع الشعب ، القاهرة ١٩٦٠م

- مختار الصحاح ، لأبى بكر الرازى ، مطبعة الترقى ، دمشق ، ط ١ ، ١٩٣٨ م

— Statistical Quality Control, by E. L. Grant, Mcbraw-Hill Bock Company, New york, 1946

— Statistics Made Simple, by H. T. Hayslett, W. H. Allen (Publishers), London, 1968

— Tables for Statisticians, by H· Arkin and R. R. Colton Barnes and Nobıe, Inc., New york, 1950

جميل الملائكة

الصِّرَاع بين القُرَّاء والنُّحَاة

للدكتور أحمد علم الدين الجندى

٦ ـ قصر الممدود :

قصر الممدود للضرورة مجمع على جوازه ؛ لانه رجوع إلى الأصل ، إذ الأصل القصر ، بدليل أن الممدود لاتكون ألفه إلا زائدة ، وألف المقصور قد تكون أصلية ، والزيادة خلاف الأصل .

وشواهد هذا الباب ـ على أنه ضرورة ـ أكثر من أن تحصى [١] .

فإذا وردت قراءة قرآنية ـ ولوسبعية ـ مخالفة لقواعد النحاة ردّوها ؛ لأنها تتصادم ـ فى زعمهم ـ مع قواعدهم .

ففى سورة النحل [٢] « أين شركائِىَ ». قرئت فى إحدى روايتى البَزِّى عن ابن كثير : بغير همز وبفتح الياء (شركاى) أى : على قاعدة قصر الممدود [٣] .

وقد تنكَّر لقراءة ابن كثير هذه غير واحد ، وحجتهم إجماع النحاة على أن الممدود لايقصر إلَّا فى ضرورة . يقول أبو شامة : « وقصر الممدود ضعيف لايجيزه النحويون إلَّا فى ضرورة الشعر ، فهذه قراءة ضعيفة [٤] » ويحمل الشاطبى لواء ردّها وتلحينها فيرميها بضعف الرواية وضعف القراءة [٥] .

ولا نوافقه على ضعف الرواية ؛ لأن تلك الرواية وردت فى كتاب السبعة لابن مجاهد [٦] ، كما وردت فى كتاب التيسير لأبى عمرو الدانى ، وسند الرواية متصل بسيدنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كذلك لا نوافقه على ضعف القراءة ؛ لأن القراءة هى الأصل ، والعربية تصحَّح بالقراءات لا القراءات بالعربية .

---

* انظر الأجزاء السابقة من مجلة المجمع .

(١) الضرائر للألوسى ٥٧ ، ومايجوز للشاعر فى الضرورة ١٤٦ للقزاز تونس .

(٢) آية ٢٧ .

(٣) السبعة لا بن مجاهد ٣٧١ ، والبحر ٥ / ٤٨٥ .

(٤) إبراز المعانى لأبى شامة ٣٧٤ .

(٥) المرجع السابق .

(٦) ص ٣٧١ .

وكان مكى القيسى أخف حملة من الشاطبى فقال عن القراءة السابقة ، بأنها لغة ، ثم وصفها وحكم عليها بأنها « قراءة بعيدة ؛ لأن قصر الممدود أكثر ما يأتى فى الشعر وفى نادر من الكلام ، قالوا فى « السوء آية » « السواية » فقصروا[1] .

أما أبو حيان فكانت لهجته أخف ، ونقده أيسر حيث يقول بعد أن ذكر قراءة القصر « وقصر الممدود ذكروا أنه من ضرورة الشعر ، ولاينبغى ذلك لثبوته فى هذه القراءة فيجوز قليلا فى الكلام[2] » .

وقد وصف ابن خالويه هذه القراءة بأنها قراءة أهل مكة[3] . كما وثّق الدانى تلك القراءة فى كتابة المفردات السبع[4] .

وفى ضوء قراءة ابن كثير السبعية - المتواترة فى تلك المصادر الصحيحة الصّادقة - يجب أن يعدّل النحاة قواعدهم فيستعمل قصر الممدود فى العربية من غير قيد أو شرط ، ويرفع عن كاهله ثوب (الضرورة) التى لحق به اعتمادا على قراءة ابن كثير ؛ وهذا أولى وأحق من اعتمادهم فى تقعيدهم حين سألوا الصبيان والمجانين والمخاطين حتى قال ابن جنى عن سيبويه : إنه «اغترق(*) جميع كلام الصرحاء والهجناء والعبيد والإماء فى أطراف الأرض ، ذات الطـول والعرض ، ما بين منثور إلى منظوم ، ومخطوب به إلى مسجوع ، حتى لغات الرعاة الاجلاف ، والرواعى ذوات صرار الأخلاف وعقلائهم والمدخولين ، وهذاتهم والموسوسين ، فى جدهم وهزلهم وحربهم وسلمهم ، وتغاير الأحوال عليهم[5] » .

فإذا أُضيف إلى ذلك : أن قصر الممدود تخفيف ؛ لانه حذف زائد فيه ، والعرب تخفف بالترخيم وغيره ، وأن قصر الممدود معزو إلى لغات تميم وقيس وربيعة وأسد[6] ، ثبتت قوة القراءة رواية ودراية .

* * *

---

(١) الكشف عن وجوه القراءات السبع ٢ / ٣٦ لأبى محمد مكى بن أبى طالب القيسى . تحقيق .د . محيى الدين رمضان دمشق

(٢) البحر ٥ / ٤٨٥ فما بعدها .

(٣) مختصر شواذ القرآن ٧٢ .

(٤) ١٠٣ ط الفاروقية بمصر .

(٥) الخصائص ٣/١٨٦

(٦) انظر : اللهجات العربية فى القراءات القرآنية ١٦٨ د عبده الراجحى . دار المعارف ١٩٦٨ .

(*) أى : استوعب . أطراف الأرض : نواحيها .

تعليق ونقد :

فى ضوء ما سبق يتبين أن بعض النحاة كانوا يتجمهون لبعض القراءات القرآنية والتى حملت فى بطونها ظاهرة من ظواهر العربية الاصيلة وأخواتها السامية وهى « انتقاص الصوت وضعفه » فقد ثبت أن بعض هذه القراءات كانت تسمح بهذا الانتقاص الصوتى ولاتتهيّبه ؛ لأن وراءه غاية يؤديها من حكمة أو حاجة — بلاغية . كما أن تراثنا العربى شعرا ونثرا كان يواكب هذه الظاهرة فى القراءات ويكتنفها .

وقد آثرت جمع أمشاج من القراءات المختلفة ، والأحاديث النبوية وآثارالعرب حتى تقف سدًّا منيعاً فى وجه هؤلاء الذين يحملونها على الضرورة .

فمن القراءات القرآنية :

١ — « يا حسره على العباد »[1] ساكنة الهاء ، وهى قراءة الأعرج ومسلم بن جندب وأبى الزناد .

وقد احتج لها ابن جنى بقوله « وذلك أن العرب إذا أخبرت عن الشىء غير معتَمِدَتِهِ ولا معْتَزِمَةٍ عليه — أسرعت فيه ، ولم تتأنَّ على اللفظ المعبرَّ به عنه ، وذلك كقول الوليد بن عقبة :

(قلنا لها قفى لنا قالتْ قاف)

معناه : وقفتُ — فاقتصرتْ من جملة الكلمة على حرف منها ، تهاوناً بالحال ، وتثاقلا عن الإجابة ، واعتماد المقال[2] »

٢ — ومن ذلك قراءة الحسن « بثلاثهْ آلاف[3] » و « بخمسهْ آلاف[4] » .

ويعلل بعض الباحثين[5] قراءة الحسن بقوله « و أكاد أستشعر فى هذه القراءة ضربا من التأكيد على هذا العدد الضخم ، فالروية فى النطق يتبعها وقف على العدد ، فتتطلع النفس إلى تمييز هذا العدد ، فيأتى المضاف إليه بعد ذلك وقد تهيّأت له النفس فيتمكن منها تمكناً لايتأتى مع غير هذه القراءة » .

---

(١) يس ٣٠ .
(٢) المحتسب ٢ / ٢٠٨ ط المجلس الأعلى .
(٣) آل عمران ١٢٤ .
(٤) المرجع السابق ١٢٥ وانظر المحتسب ١ / ١٦٥
(٥) الدكتور حماسة عبد اللطيف . رسالته فى الدكتوراه ٣٧٦ .

ويلاحظ على القراءتين الحيف على الإعراب وزواله وذلك مما لايخشى ولايتهيّب يقول ابن جنى « ولا يجفُ ذلك عليك على مابه من ظاهر انتقاض صنعته ؛ فإن العرب قد تحمل على ألفاظها لمعانيها حتى تفسد الإعراب لصحة المعنى[1] » وهذا ما يقصده (فندريس)[2] بقوله « إن ظاهرة الوقف مظهر من مظاهر البلى الصوتى الذى يعمل على اختزال طول الكلمات وهدم الإعراب » .

والعجيب أن النحاة يحكمون بالضرورة على أسلوب مشابه لهاتين القراءتين وذلك فى قول منظور بن حبة الأسدى :

لما رأى أن لادعة ولا شِبع

مال إلى أرطاة حِقْفٍ فاطجع[3]

فقد سكن هاء (دعه) فى الوصل لضرورة الشعر . إلا أن الفراء ذهب إلى أنها لغة لبعض العرب .

٣ـ « ذلك ما كنا نبغ[4] » فالفعل جزم فى غير مواضع الجزم ، وذلك نوع من إضعاف الصوت وتقصير الحركة ، وهذا التقصير لغرض وغاية ، فهو يوحى بلهفة موسى عليه السلام على معرفة مكان الخضر ؛ إذ كان فقْد الحوت هو العلامة على مكان الخضر ؛ ولهذا لم يكن لدى موسى من الوقت ما يضيعه فى إشباع الصوت وإعطائه حقه كاملا .

وهنا يتآزر التصوير اللغوى أصواتاً ووظائف فى الدلالة على ملابسات الحال . . ويعتبر هذا الحذف أو التقصير نوعاً من الترخُّص فى العلامة الإعرابية أتى به للدلالة على معنى معيَّن[5] .

٤ـ ومن القراءات التى جاءت على إضعاف الصوت وتقصير الحركة الطويلة :

(١) « فأنا أول العَبدين[6] » بغير ألف قراءة أبى عبد الرحمن اليمانى .

---

(١) المحتسب ٢ / ٢١١ .

(٢) اللغة ٤٢٣ .

(٣) الدعة : الراحة . الحقف : التل المعوج من الرمل . وانظر المحتسب ١ / ١٠٧ .

(٤) الكهف ٦٤ .

(٥) قرينة العلامة الإعرابية . رسالة دكتوراه ٣٦٥ . د . محمد حماسة (مخطوطة بمكتبة المؤلف) .

(٦) الزخرف ٨١ وانظر المحتسب ٢ / ٢٥٧ المجلس الأعلى .

(ب) « فاقعدوا مع الخلفين[1] » بغير ألف . قراءة مالك بن دينار .

(ج) « وأطعموا القَنِع[2] » بغير ألف . قراءة أبي رجاء .

فتلك القراءات السابقة ينظّر لها ابن جنى بالشعر ، والشعر محط الضرورات . يقول فى المحتسب[3] « ونحوه ما رويناه عن قطرب » :

ألا لا بارك اللّهُ فى سُهيـل
إذا ما الله بارك فى الرجـال

أراد : لا بارك الله ، فحذف الألف تخفيفاً . وفى مكان آخر من المحتسب[4] رمى ابن جنى أبياتاً وردت على نسق القراءات السابقة التى حدث فيها إضعاف الصوت وتقصيره – بالضرورة ، ولهذا فرّ بعض النحاة من مصطلح (الضرورة) وسموه بأسماء أخرى أيسر وأخف .

فسيبويه يسميه « ما يحتمل الشعر » وسماه بعضهم « باب الرخص فى الشعر » العمدة لابن رشيق ٢ /٢٠٨

وأطلق عليه آخرون « التناسب » ؛ لأنهم ربما رأوا أن الضرورة تحمل معنى العجز ، والقرآن منزه عن ذلك .

٥ – كما وجدنا نمطاً آخر من التقصير والحذف فى قراءات قرآنية تختلف عما سبق نسجّل جانباً منها :

(١) « أتحاجّونى فى الله » مخففة . وهى قراءة نافع وابن عامر[5] . وهى قراءة سبعية : أتحاجوننى بنونين : الأولى علامة رفع والثانية : نون الوقاية ، وللعرب فى مثل ذلك ثلاث لغات : إبقاء النونين ، وإدغام الأولى فى الثانية على أصل قاعدة الإدغام . واللغة الثالثة : حذف إحدى النونين ، فبقى نون واحدة مخففة ، وقد قرئ بهذه اللغات الثلاث ، قوله تعالى : « أفغيرَ الله تأمرونى أعبد » ، وقراءة الحذف لغة غطفان (*) (انظر إبراز المعانى لأبى شامة ٣٠٨) وإذا كانت القراءة قرئ بها وصورت لهجة عربية كقبيلة غطفان فكيف

---

(١) التوبة ٨٣ وانظر المحتسب ١ / ٢٩٨ . (٢) الحج ٣٦ وانظر المحتسب ٢ / ٨٢ .
(٣) ٢ / ٨٢ وانظر : الخصائص ٣ / ١٣٤ ، ٢ / ٢٤٦ ، والضرائر ٧٣ للألوسى .
(٤) ٢ / ٢٥٧ . (٥) الأنعام ٨ .
(*) غطفان : من قيس عيلان ، وتقع منازلها شرقى خيبر وحدود الحجاز الى جبلى طيىء ، وبعض منازلها فى نجد ، ولهذا أرجح أن البدو منهم يؤثرون الحذف .

يضعها النحاة فى إطار الضرورة .

* « أفغير الله تأمرونى » مخففة . وهى قراءة نافع وابن عامر [1] . وهى قراءة سبعية .

* « فبم تبشرون » [2] مخففة . وهى قراءة نافع وابن عامر . وهى قراءة سبعية .

والحجة لمن خفف النون أنه لما اجتمعت نونان تنوب إحداهما عن لفظ الأخرى خفف الكلمة ؛ بإسقاط إحداهما كراهية لاجتماعهما [3] .

وفى حذف النون ما أنشده المفضل :

تذكرونا إذ نقاتلكم
إذ لا يضرُّ مُعدماً عدمهُ

وزعم بعض البصريين فى حذف النون أنها لغة غطفان (الحجة لأبى على الفارسى : سورة الأنعام) .

* « قالوا ساحران تظّاهرا » وهى قراءة يحيى الدمارى بالتشديد . ورماها ابن خالويه باللحن [5] . لأنه فعل ماض ، وإنما تشدد فى المضارع .

* وقراءة الحسن « يوم يُدْعَوْا كلُّ أناس بإمامهم » الإسراء ٧١

ويلاحظ على الآيات الثلاث السابقة أنها قرئت بحذف نون الرفع من المضارع المرفوع .

والعجيب أن النحاة يوازون هذه القراءات بما ورد فى الشعر فمن ذلك قول الأعشى :

أبا الموت الذى لابدّ أنى
ملاق لا أباك تخوفينى

وقول عمرو بن معدى كرب :

تراه كالثُّغام يُعَلُّ مسكا
يسوءُ الفاليات إذا فَلَيْنى [6]

أراد : فليننى . فحذف نون الوقاية مع نون الضمير (للضرورة) .

سورة الأنعام

وقول جميل :

كل له نيّة فى بغض صاحبه
بنعمة الله نقليكم وتقلونا [7]

---

(١) الزمر ٦٤ .
(٢) الحجر ٥٤ .
(٣) انظر : كتاب السبعة ٢٦١ لابن مجاهد ، والحجة ١١٨ ، ١٨١ وانظر تفسير القرطبى .
(٤) القصص ٤٨ .
(٥) مختصر شواذ القرآن ١١٣ لابن خالويه ، وشواهد التوضيح ١٧٢ لابن مالك .
(٦) الحجة لابن خالوية ١١٨ (الثغام : نبت أبيض يكون فى الجبل . الفاليات : إخراج القمل من الشعر . يعلّ : يطيب) .
(٧) إملاء مامن به الرحمن : ١ / ٢٤٩ تحقيق عطوة : القاهرة ط ٢ .

وقول الآخر :

أيـاريح الشمال أمـا تَـرينْى
أهـيم وأنـنى بـادى النُّحـول

أى : ترينني .

وقول أبي طالب :

فإن سرّقوماًبعضُ ماقد صنعتمو
ستحتلبـوها لاقحا غير ناهـل

وقد اختار سيبويه حذف نون الوقاية تحرزًا من حذف نون الرفع ؛لأنها لوحذفت لاشتبه المرفوع بالمجزوم والمنصوب . وأرى أن نون الرفع هى المحذوفة ، ومما يؤكد ذلك ما ورد :

(أ) فى النثر :

١ – جاء فى الحديث الشريف « والذى نفس محمد بيده ، لاتدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ، ولا تؤمنوا حتى تحابوا[1] » .

٢ – وقول عمر رضى الله عنه حين سمع قول الرسول عليه السلام فى قتلى بـدر ايارسول الله ،كيف يسمعوا وأنّى يجيبوا » .

٣ – وفى الحديث « كما تكونوا يولى عليكم[2] » .

٤ – وفى حديث الإسراء « لقد رأيتنى فى الحجر وقريش تسألنى عن مسراى فسألتنى عن أشياء ... إلى أن قال : صلى الله عليه وسلم : أنظر إليه مايسألونى عن شىء إلا أنبأتهم به[3] » .

٥ – وقوله عليه السلام وقد سأله بعض أصحابه : فعن معادن العرب تسألونى[4] » .

٦ – وقول عقبة بن عامر للنبى – صلى الله عليه وسلم – « إنك[5] تبعثنا فننزل بقوم لا يَقْرونَا » .

٧ – وقول ابن عباس وغيره لرسولهم إلى عائشة يسألونها عن الركعتين بعد العصر : بلغنا أنك تصليهما .

والأصل : لا يقرونا ، وتصلّينهما .

٨ – وقول وفد عبد القيس « وأصبحوا يعلمونا كتاب الله[6] » :

٩ – وفى عيون الأخبار لابن قتيبة « لم تزعجونى من جواركم[7] .

وتلك الكثرة من الشواهد النثرية تؤكد أن حذف نون الأفعال الخمسة فى حالة الرفع لغة فصيحة ، وعلل ابن مالك هـذا الحذف لكراهية تفضيل النائب على المنوب

---

(١) شواهد التوضيح ١٧٣ ، الهمع : ١ / ٥١ .
(٢) الحاوى للفتاوى ٢ / ٤٧ للسيوطى ط السعادة .
(٣) التاج الجامع للأصول ٣ / ٢٦٢ .
(٤) رياض الصالحين : باب التقوى للنووى .
(٥) شواهد التوضيح ١٧٠ ، صحيح البخارى ٣ / ١٧٢ ط الشعب .
(٦) شواهد التوضيح ١٧٣ .
(٧) ١ / ٢٩٣ .

عنه ، وذلك أن النون نائب عن الضمة ، والضمة قد حذفت لمجرد التخفيف ، كقراءة أبى عمرو بتسكين الراء من (يشعركم) فى قوله تعالى « وما يشعركم أنها إذا جاءت لايؤمنون[1] » ويأمركم . فى قوله – سبحانه – « إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة[2] » وينصركم . فى قوله – سبحانه – « فمن ذا الذى ينصركم من بعده[3] » فلو لم تعامل النون بما عوملت الضمة من الحذف لمجرد التخفيف ، لكان فى ذلك تفضيل النائب على المنوب عنه[4] .

والعجيب من النحاة أنهم يستشهدون بأجلاف العرب وسفهائهم ومجانينهم ، ويتركون أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ؛ لأنها تنقل بالمعنى ، ومعروف أن الخلاف فى جواز النقل بالمعنى إنما هو فيما لم يدون ولا كتب ، وأما مادون فى الكتب فلا يجوز تبديل ألفاظه من غير خلاف بين العلماء .

(ب) فى الشعر :

١ – كقول الشاعر :

أُبيتُ أسرى وتبيتى تدلكى
وجهك بالعنبر والمسك الذكى[5]

فالأصل : تبيتين وتدلكين .

٢ – وقول على رضى الله عنه :

أنا الذى يجدونى فى صدورهم
لا أرتعى صدرًا منها ولا أرد

٣ – وما أنشده الفارسى :

والأرض أورثت بنى إذا مـا
ما يغرسوها شجرًا إياما[6]

فالمحذوف نون الرفع ، لأن نون الوقاية أتى بها لغرض خاص ، وهو وقاية الفعل من الكسرة التى لاتدخله ، والمعروف فى العربية أنها فى سبيل المحافظة على المعنى والحرص على أمن اللبس قد استعانت بعدة قرائن صوتية وصرفية ونحوية فإذا

---

(١) الأنعام ١٠٩ .
(٢) البقرة ٦٧ .
(٣) آل عمران ١٦٠ .
(٤) شواهد التوضيح ١٧٢ .
(٥) الضرائر للألوسى : ١٢٥ .
(٦) الضرائر للألوسى ١٢٦ .

أمن اللبس مع اطّراح بعض هذه القرائن كقرينة الإعراب ،مثلا كما هنا ،فإن ذلك مما تجيزه اللغة ولا تتأباه .

فظاهرة حذف النون فى حالة الرفع لغة فصيحة ؛ لأنها وردت فى القرآن وقراءاته وهدفها التخفيف والتيسير ،ولهذا لاتكون ضرورة . يقول السيرافى فى شرحه على سيبويه « وليس فى القرآن ضرورة[1] » ويقول أيضاً « وما قرأت به القراء لم يدخل مثله فى ضرورة الشعر[2] »وفى مثل هذا يقول أبو العلاء المعرىّ على لسان الحيّة الفقيهة « فلما توفى أبو عمرو كرهت المقام ، فانتقلت إلى الكوفة فاقمت فى جوار حمزة بن حبيب فسمعته يقرأ باشياء ينكرها عليه أصحاب العربية . . . . . وهذا إغلاق لباب العربية لأن الفرقان ليس بموضع ضرورة ، وإنما حكى مثل هذا فى المنظوم[3] » .

ومعروف أن قراءات القراء مردها إلى الرواية ، ولايصح أن يتحكم فيها مايجوز فى العربية . كما أن كل ماله نظير فى الاستعمال النثرى لن يكون ضرورة ، والقول بالضرورة رأى كثرة من النحاة ، دفعهم إليه المنهج المعيارى ، فحكموا على ظواهر موجودة فى غير الشعر كالقرآن والنثر بأنها ضرورة . والقراءات القرآنية جاءت على لغة العرب قياسها وشاذها ، وليست لغات القبائل إلا نحو من الفصحى ، وطريق منه وإليه ، ولا أسلّم أن بعض تلك القراءات جاءت عن طريق الشواذ ، ولكن الشاذ شى ، والضرورة شىء آخر ، وكان ابن جنى على حق عندما فسّر مصطلح الشذوذ فى القراءات القرآنية بأنه « مع خروجه عن قراءة القراء السبعة ـ نازع بالثقة إلى قرائه ، محفوف بالروايات من أمامه ، ووراءه ، ولعله أو كثير منه مساوٍ فى الفصاحة للمجتمع عليه ، نعم . وربما كان فيه ما تلطف صنعته ، وتعنُف بغيره فصاحته ، وتمطوه قوى أسبابه ، وترسو به قدم إعرابه . . . . كما يرى ابن جنى أن هذا الشاذ تنْميه الرواية إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) والله تعالى يقول : « وما آتاكم الرسول فخذوه » . . . وأنه مما أمر الله تعالى بتقبله ، وأراد منا العمل

---

(١) ١ / ٢١٠ مخطوط ١٣٧ نحو . دار الكتب المصرية . (٢) شرح السيرافى ١ / ٢٢٥ .

(٣) رسالة الغفران ٢٨٩ فما بعدها . تحقيق بنت الشاطىء ط أولى ١٩٥٠ .

بموجبه ، وأنه حبيب إليه ، ومرضىٌّ من القول لديه[1] » .

ويقول السيوطى « أما القرآن فكل ما ورد أنه قرئ به — جاز الاحتجاج به فى العربية سواء كان متواترًا أم آحادا أم شاذا[2] »، وأمام هذا كان ينجب أن يكون القرآن وقراءاته المختلفة مبدأ إصلاح فى العربية ، ولكن النحاة حكّموا نحوهم الذى وضعوه فى القرآن محتمين بسلطانهم حيث يبيحون ويحرمون ، وشعارهم فى ذلك قول واحد منهم :

(فما أُبيح آفعل ودعْ مالم يبح)[3]

* * *

وإذا كان النحاة يستقبحون الضرورة ؛ لأن فيها خروجا قواعدهم وقوانينهم ؛ فإننا نرى أمثلة رائعة من القرآن المعجز فيها خروج فى غير موضع على قواعد النحاة الشكلية ، فظاهرة التقصير والإضعاف كما عرضناها لم تكن عبثاً ، أو موطن تكلف واعتساف كما يرى النحاة ، ولكن أتى بها قصدا لمطلب كريم من مطالب البلاغة ، وجمال التعبير ، وشرف الغاية[4] ، وكأن النحاة لاتعنيهم إلا القاعدة ، يشتغلون بها ومن أجلها من بعيد أوقريب دون بيان ما ترمى إليه هذه النتوءات والمخالفات من استجابة لحاجة أسلوبية أو نفسية ، يقول ابن جنى : « فهذا ونحوه مما يدلك ويبصّرك أنهم لايتنكبون شيئاً إلى آخر تطرُّباً ولا تبدلا ، لا بل إنعاماً[5] وتأملا » .

والمعروف أن الأصوات تابعة للمعانى ، فمتى قويت قويت ، ومتى ضعفت ضعفت فقول العرب : قطّع وقطَّع ، وكسّر وكسَّر ، زادوا فى الصوت لزيادة المعنى ، واقتصدوا فيه ، لاقتصادهم فيه .

فإشباع الحركة والحرف أو إضعافهما من أصول العربية ، وأن العربية لم تأخذهما عنوة أو جفوة ، ولكن لفضل معنى ، وقوة وبيان . وإليك تأكيد لما سبق :

(أ) فالمعروف فى العربية أن (لا) تدلّ على نفى البعيد ، و (لن)

---

(١) المحتسب ١ / ٣٢ ، ٣٣ بتصرف . ط المجلس الأعلى .
(٢) الاقتراح ١٤ فما بعدها .
(٣) ألفيه ابن مالك .
(٤) انظر فيما سبق من قوله — سبحانه — « ذلك ما كنا نبغ » .
(٥) المحتسب ٢ / ٢٧٦ ط المجلس الأعلى بتحقيق أستاذنا على النجدى ناصف ومن معه .

لنفى القريب ، وذلك لأن (لا) ممطولة مشبعة ، فكانت لنفى البعيد إذا لألف يمكن أن يمدّ الصوت معه بخلاف صوت النون ، فكأن الدلالة ترتبط بسلوك الصوت أيضاً.

(ب) فى سورة النحل آية ١٢٧ «ولاتك[1] فى ضيق مما يمكرون » وفى سورة النمل آية ٧٠ « ولا تكن » بإثبات النون . حذفت النون فى الأولى تخفيفاً من غير قياس ، لما كثر دورها فى الكلام ، وتشبيهاً لها بحروف العلة .

وخصت سورة النحل بالحذف دون سورة النمل موافقة لما قبلها وهو قوله جل شأنه « ولم يك من المشركين » الآية ١٢٠

والثانى : أن هذه الآية نزلت تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم حين قتل عمه حمزة ومثّل به فقال صلى الله عليه وسلم : « لأفعان بهم ولأصنعن » فأنزل الله تعالى : « ولئن صبرتم لهو خير للصابرين ،واصبر وماصبرك إلا بالله ولاتحزن عليهم ولا تك فى ضيق مما يمكرون[2] »فبالغ فى الحذف ليكون ذلك مبالغة فى التسلّى ، وجاء فى النمل على القياس ،ولأن الحزن هنا دون الحزن هناك[3].

(ج) وفى قوله تعالى : « مالم تستطع عليه صبراً[4] » جاء فى الأصل ، وفى قوله تعالى : « تسطع عليه صبراً[5] » على التخفيف لأنه الفرع .

وفى قوله تعالى : « فما اسْتطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقْبا » اختار التخفيف فى الأول ؛ لأن مفعوله حرف وفعل وفاعل ومفعول ؛ فاختار فيه الحذف والثانى :مفعوله اسم واحد ،وهو قوله : « نقبا[6] ».

فالقرآن – وهو يمثل العربية الفصحى حين نستشرفه فى أفقه الأعلى يصوّر بالإشباع والإضعاف ،أو المطل والانتقاص كيفيات ذوات جوانب مختلفة : أسلوبية كموسيقية اللغة ،أو نفسية ترتبط بحركات النفس وانفعالاتها ، أو تشريعية اجتماعية .

(للبحث بقية)

أحمد علم الدين الجندى

---

(١) الأصل : تكون . ثم جزم فصار تكن – ثم حذفت نونه لكثرة الاستعمال فصار : تك ، وهذا الحذف جائز لا واجب ، وكذلك جاء الوجهان فى القرآن « ولم يك من المشركين » النحل ١٢٠ « ولم يكن جبارا عصيا » مريم ١٤ . فلو ولى الكاف ساكن عادت النون كقوله جل ثناؤه : « لم يكن الله ليغفر لهم » النساء ١٣٧

(٢) النحل ١٢٦ ، ١٢٧ .

(٣) أسرار التكرار فى القرآن ١١٥ تاج القراء محمود بن حمزة بن نصر الكرمانى . تحقيق الأستاذ عبدالقادر عطا . ط أولى دار الاعتصام .

(٤) الكهف ٧٨ .

(٥) الكهف ٨٢ .

(٦) البرهان ١٢٣ للكرمانى . تحقيق : الأستاذ عبد القادر عطا . ط أولى .